أسرار الحروف



دار الحصاد للنشر والتوزيع

دمشق ص. ب: ٤٤٩٠

هاتف: ٢٤٦٣٢٦

الطبعة الأولى: ١٩٩٣

أحمد زرقة

أسرار الحروف

تقديم

هذا الكتاب يبحث موضوع الحرف العربي، من ناحية: المعنى، والصوت، والرمز، ويسعى إلى تحديد القوانين التي تنتظم فيها بنيته الداخلية، ويعمد إلى الكشف عن قواعده الوظيفية، من خلال إرجاعه إلى الأصل المشتق منه ـ في الطبيعة والمجتمع ـ عبر مسيرته الممتدة، منذ منتصف العصر الحجري القديم، قبل آلاف السنين.

ويعتمد الأدلة اللغوية والتاريخية برهاناً على صحة استنتاجاته، والمحاكمات المنطقية دليلاً على دقة أحكامه، والمعطيات العلمية التجريبية في الكشف عن أسراره التي مازالت مبعث حيرة العلماء، في محاولاتهم الهادفة للوصول إلى لغة ذلك الإنسان البدائي العتيق.

وإذا كانت حقيقة أصل الشيء، في نظر أبي هلال العسكري، هي ما بديء به، وما كان عليه معتمده، فإن الحرف العربي هو الأس الذي لا يكون إلا أصلاً، في بنيان صرح العربية الشامخ الذي استشهد له بالقول «ان أصل الحائط يسمى أساً، وهو الحجر الذي بُدىء في بنيانه»[1].

وفي كتاب «أبجدية النشأة «حددتُ أصول اللغة العربية، طبيعياً، واجتماعياً، وفكرياً، في إطار نظام من الأحداث ذات الدلالة، ووفق منهج يربط السلسلة اللغوية ببناء العقل عند الطفل: الجنين والوليد والرضيع والفطيم[2].

ولما كان السرّ هو اخفاء الشيء في مكنونات النفس، فان أسرار حروفنا العربية، هي تلك الأسرار المغلفة بالثنائية الضدية التي تنتظم فيها حركة الكون والتاريخ الإنساني برمته، سواء في بنيتها الداخلية، أو في وظيفتها الخارجية الحادثة بالتصويت، ولكن بعيداً عن تلك الأسرار المبثوثة في رسائل إخوان الصفا، وغيرها من كتب الأقدمين، بل هي الأسرار الشبيهة إلى حد ما بلغة الكيمياء عند الكائنات الحية التي تعيش في مستعمرات خاصة تشبه المجتمعات، وتتم فيها الأعمال بمنتهى الدقة والنظام كما في مملكتي النحل والنمل مثلاً.

وكنت قد عالجت في كتاب «ميزان الألف العربية» مسألة الألف الموصوفة بأنها أم الحروف لشدة التصاق الصائت بالصامت فيها، وائتلافهما في وحدة صوتية لغوية هي نقطة الانطلاق: لفهم الأبجديات اللغوية المعروفة في عالم اليوم، ورأيت في وظيفتها الدلالية الحاكية للصوت الطبيعي الذي يصدره الطفل في صرخة الولادة الأولى؛ بأنها هي التي هيأت للتنقيب عن أسرار الحروف الأخرى، في لغتنا الإنسانية السمات، العربية الإعراب[٣].

ويستقرىء هذا البحث خصائص أسرة اللهجة القرشية التي سادت كلغة عربية فصحى، من بين أسرة لغات الأقوام الأخرى؛ ذات السمات البشرية التي عاشت في مشرقنا العربي، وذلك بالاعتماد على حاستي السمع والبصر، وعلى وسائل اصدار الصوت، أو رؤية الصورة، كما هي الحال في لغات الشعوب الإنسانية المبتكرة في شتى أصقاع الأرض.

ويجيب في القسم الأول منه عن سؤال ما الحرف، بالتفريق بين حرف المعنى، وحرف المبنى، ثم يتدرج في الأقسام الثلاثة الأخرى، لبحث المعنى المحسوس/ المعقول، والصوت: المنطوق/ المسموع، والرمز: المكتوب/

المقروء، ليصل إلى خلاصة تحدد ملامح كل حرف من حروفنا العربية، من حيث: الهوية، والوظيفة، لأن كل حرف يستقل ببيان معنى خاص، مادام يستقل باحداث صوت معين، ومحكوم برسم محدود.

واعتمدت الترتيب الطبيعي، الشمسي والقمري، في تحديد الحرف، والأبجدي في البحث عن مدلوله ومعناه، والمخرجي في دراسة منطوقه ومسموعه، والألفبائي في مراقبة مكتوبه ومقروئه، لأن كلاً من هذه الترتيبات الأربعة له معناه ومغزاه، وحقه ومستحقه، في تحديد إطار خاص بكل قسم من أقسام الكتاب.

وكما اهتديت في كتاب «أبجدية النشأة» بالمفهوم الخلدوني الشهير في طبائع العمران، وبخصائص ابن جني في كتاب «ميزان الألف العربية» كمنارتين تراثيتين، فقد كان البرهان الفارابي المنثور في جميع كتبه وبخاصة «الحروف» و«الألفاظ المستعملة في المنطق» و«الموسيقي الكبير» هو المنارة الثالثة التي هدتني للبحث عن أسرار حروفنا في هذا الكتاب، مستعيناً بالمنطق الرياضي، والمنهج التجريبي المعتمدين حالياً للبحث في الموضوعات الإنسانية.

وهدفت إلى تقديم المعرفة اللغوية وتبسيطها ما أمكن ذلك، بقصد الوصول إلى تمكين القارىء من استعمال هذه المعرفة في حياته اليومية بسهولة، ويسر، وحل أية مسألة لغوية مهما بلغت من التعقيد خلال الحديث أو القراءة، من خلال ربط الحرف بمعناه الذي يبدو للوهلة الأولى نوعاً من المجازفة، وأمنية عجز عن تحقيقها علماء اللغة قديماً وحديثاً، بسبب استبعاد البرهان الذي يقطع الظن والتخمين بالدليل واليقين، وكل ما أرجوه أن أوفق فيما سعيت.

المؤلف

القسم الأول

الحرف
المعنى/ المبنى

الترتيب الطبيعي

القمري: الألف الباء، الجيم الحاء، العين الخاء، الغين الفاء، القاف الكاف، الميم الهاء، الواو الياء.

الشمسي: التاء الثاء، الدال الذال، الراء الزاي، السين الشين، الصاد الضاد، الطاء الظاء، اللام النون.

ما الحرف؟

يجدر بنا استعراض بعض المعاني القاموسية للفظة حرف، كي يتم التعرف على حرفنا العربي الذي نقصد في هذا الكتاب، بعيداً عن الخلط والتشبيه بما ورد في كتب الأقدمين التي تخلطه بالألفاظ، وكتب المحدثين التي تشبهه بحروف اللغات الأوربية، دون أي تمييز أو تخصيص إلا فيما ندر.

ويأتي برأس هذه المعاني أن الحرف هو اللغة، والتي يرى فيها القدماء بأنها أنواع ثلاثة: فكرية ولفظية وخطية، فالفكرية معانيها الألفاظ، واللفظية أصوات محمولة في الهواء، وملتقطة بعضو السمع، والخطية مرسومة باليد، وملتقطة بعضو النظر، للدلالة على الحروف اللفظية التي وضعت بدورها للدلالة على الحروف الفكرية التي هي الأصل[1].

والحرف في الأصل الطرف والجانب، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه أي قمته وحرف السفينة أي جانبها، وحرف كل شيء طرفه وحده، وفلان على حرف من الرأي أي ناحية منه، ومن الناس من يعبد الله على حرف أي يعبده على السراء دون الضراء، والذي يرى لفظ الحرف لحرف السفينة والجبل والنهر والسيف يلوح له كما يقول الباحث محمد عنبر في كتابه «جدلية الحرف العربي» معنى الانحسار إلى طرف الشيء وناحيته وجهته

وقلم محرّف عُدل بأحد حرفيه عن الآخر، وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره، والحرفة الصناعة والمحترف الصانع، وحرّف عينه

كحلها، والمحراف الميل الذي تقاس به الجراحات والحرفة هي اختصاص بعمل ما، أما الحرف في النحو: فهو ما دل على معنى في غيره، كدلالة هل على معنى الاستفهام، وكذلك سمّى أهل العربية أدوات المعاني حروفاً.

وتبقى هذه المعاني أسيرة صفات حروف هذه الكلمة الثلاثية كما يعتقد الدكتور «أسعد علي» الذي يذهب في تحليل هذه اللفظة وفقاً لمعاني حروفها مذهباً يحلّق فيه بأجواء الخيال، بعيداً عن تحديدات العقل، ومنهج العلم إذ يقول:

كلمة حرف تتألف من ثلاثة أحرف: ح وهي صورة الحبل، ور: وهي صورة الرأس، وف وهي صورة الفم ويستنتج من هذا التحليل: أن الحرف هو امتداد التفكير في التعبير(*).

ولكن حرف الهجاء العربي الذي يتضمن في تعريفه كل هذه التحديدات القاموسيةيختص بمعنى خاص به يحدده ويعرّفه، وبيت لا يتجاوز به إلى غيره، ولا يتجاوز غيره عليه، وهو أنه وحدة صوتية طبيعية صغرى تتميز عن غيرها بالنطق والكتابة والمعنى.

ونحن مضطرون للبحث في هذا القسم عن حرف المعنى الذي يتضمن اللغة والجملة والكلمة والمقطع، وحرف المبنى الذي يتضمن الحركات والمدود والعلة والصحاح والذي ينقسم كل منهما إلى ذاتين هما: حرف المعنى: التراكيب والمفردات، وحرف المبنى: الصوائت والصوامت.

الفصل الأول

حرف المعنى

هناك اعتقاد مفاده: أن الإنسان تكلم قبل أن يكتب، وهذا الاعتقاد نابع من الصورة الذهنية التي تكونت عن الكتابة الراهنة، المؤلفة من كلام مكـوّن من حروف تترجم إلى سلاسل صوتية متتابعة، ولكن علينا أن لا ننسى أن الإنســان لم يعبر بالصوت قبل تعبيره بالإشارة، فكما كان يجري التعبير بالصوت عن الشيء عندما يكون صوته أدل عليه؛ كان يجري التعبير بالإشارة، لأن الصوت والإشارة يثيران صورة مثيرهما وبالدرجة نفسها.

وتعادلت الإشارة «الكتابة الأولى» مع الصوت «الكلام الأول» في إثـارة صورة المثـير المحفوظة في الذهن، وتطورت الكتابة الأولى، وتطور الكلام الأول، دون أن تفنى الأصول التي ساهمت في بناء الكتابة والكلام الراهنين، وظلت هذه الأصول منارات إرشاد لأبناء اليوم في تعلم القراءة والكتابة.

وإذا كان معنى الكتابة هو الجمع بين الشيئين، فان القراءة معناها الجمع أيضاً، والقرآن كلفظ معناه الجمع لأنه يجمع السور فيضمها، أما القـول فهو إعراب وبيان، لأن في الإعراب والبيان راحة لنفس الإنسان التواقة دوماً إلى المعرفة.

وعند بحثنا لحرف المعنى سواء أكان لغة أو جملة أو كلمة أو مقطعاً أي في صورة تراكيب أو مفردات، فإننا سنأتي بالأمثلة التي دلت عليها الكتابة الأولى في الصورة اللوحة وفي الصورة الشيء أو جزء منه كدليل ثقة على صحة هذه المعاني الذهنية التي تكونت في مخيلتنا مشفوعة ببراهينها.

الحرف / اللغة/

لغة الإنسان هي منظومة علامات تؤدي وظيفة اجتماعية، ووسيلة لصياغة الأفكار، والتعبير عنها والتصريح بها، وإيصالها إلى الآخرين، ونستطيع تحليلها إلى وحدات معنوية وصوتية، ولكن هذا التحليل يختلف من مجتمع إلى آخر، وهذا ما يفسر اختلاف اللغات.

وهي مؤسسة بشرية تنبثق من الحياة داخل الجماعة، ولا يمكن أن يقوم مجتمع إنساني بمعزل عن اللغة، لأنها عنصر من عناصره الأساسية الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عنها، وتبقى وظيفة التفاهم هي الوظيفة المركزية لها.

ولما كانت حياة الإنسان على هذه الأرض هي قصة بحد ذاتها، لذا يتوجب علينا الاهتمام بهذا الحدث ـ القصة، وتحليله إلى جمل وكلمات ومقاطع، ومن ثم إلى حروف وأصوات كي نتبين ملامح هذا الحيوان الناطق، كما يقول الفلاسفة، الذي يربط بين الأفكار من خلال اللغة التي تقوم بنقل المعاني بواسطة إشارات محددة صوتياً وكتابياً.

فالطفل الرضيع على سبيل المثال يحدث أصواتاً عامة تبدأ بالاستهلال والصياح عند الولادة، ثم المناغاة بعد ذلك، إلى أن تأخذ في التخصص كي

تصير كلاماً، وهذا الكلام بدوره ينمو ويتفرع، ليتحول إلى أصوات تعبر عن الخوف أو الفرح أو الجوع أو الألم.

ولقد كانت المرحلة الأولى من الرموز السومرية تحوي على صور لموضوع بكامله، تحكي قصة من قصص هذا الإنسان الصياد، وإن هذه الكتابة التصويرية كانت هي الأقدم عند مختلف الشعوب، والأكثر ملاءمة لجماعات مختلفة اللهجات، اقتضى التطور الطبيعي أن تتحد في قبائل، لمواجهة ما يحدق بها من أخطار.

ويحكي نصب «نارام سين» الامبراطور الأكدي الذي نُحت لتمجيده، وتعظيم بطولاته: أنه كان يمزق أعداءه ويحطمهم، فيخافونه ويتضرعون إليه طالبين الرحمة، كما يصور هذا النصب الأعداء، وهم تحت قدميه يدوسهم برجليه، أما التاج ذو القرنين الذي يضعه على رأسه فهو يعني أنه يستحق الألوهية بأعماله وبطولاته الفذة.

أما لوحة «نارمير» الشهيرة فهي من أفضل ما بقي من كتابات تلك المرحلة التصويرية، وهي تقترن باسم الفرعون «مينا» مؤسس الأسرة المصرية الأولى، نحو الألف الثالث قبل الميلاد.

ونجد فوق هذه اللوحة صورة الفرعون، وعلى رأسه تاج مصر العليا أي الجنوبية، وهو يشهر حربة فوق رأس خصمه المهزوم، أما الوجه الثاني من اللوحة: فهو يظهر الفرعون لابساً تاج مصر السفلى أي الشمالية، وهو يسير بمراقبة وزيره حامل أدوات الكتابة، فوق ساح النصر، خلف أربعة من الرجال الذين يحملون رايات المهزومين، كما يظهر إلى اليمين صفان من الأعداء، وقد جُزّت رؤوسهم، والفرعون على هيئة ثور مقدس يهدم بقرنيه أسوار القلعة[٦].

وهكذا عبرت الكتابة الأولى عن قصة من قصص الحياة التي يعيشها

الإنسان دون فصل في أحداثها المتكاملة العناصر، والتي لا يمكن فهمها إلا من خلال هذا الكل الذي يمكن أن يقرأه أي إنسان، ويترجمه إلى أفكار ومعان مقصودة. وإذا كان لكل موضوع فكرة عامة تشمله، وداخل الفكرة العامة أفكار جزئية، تؤلف مفهوماً خاصاً بذاته، فقد اهتدى الإنسان إلى تقسيم هذا الموضوع العام إلى فقرات، والفقرات إلى جمل برموز كتابية تسمى علامات الوقف توضع بين أجزاء الكلام تسهيلاً لمواقع الفصل والوقف والابتداء، ولتنويع النبرات الصوتية أثناء القراءة ومن أبرزها الفاصلة والنقطة.

وهذا الوقف الذي نعرفه الآن، هو انعكاس للوقف بشقه المعنوي الذي أتاح الإمكانية لتجزئة الصورة اللوحة إلى صور منفصلة متحركة تدل على قيام الإنسان بعمل من الأعمال الإنسانية الأكثر بروزاً وإثارة، دون الحاجة إلى عرض الموضوع بكامله، أو سرد جميع تفاصيله.

ولا يضير اللغات أنها لم تعرف من علامات الوقف الكتابية المتعارف عليها الآن إلا العدد القليل، وفي وقت متأخر كلغتنا العربية، لأن ذلك كان حقيقة واقعة بالضرورة التصويتية التي تحتاج إلى مثل هذا الوقف، ولأن الوقف هو انقطاع في السلسلة الكلامية، أو صمت يقع في نهاية المجموعة النفسية يسبقه انخفاض، وتغير هابط في التنغيم الصوتي الذي يقوم بدور مهم على صعيد افهام السامع المضمون الدلالي للمرسلة الكلامية: إما ليرتاح القارىء، وإما لإتاحة الفرصة أمام السامع.

الحرف / الجملة/

لما كانت الفكرة هي وحدة التفكير، فان الجملة هي وحدة التعبير، وهي في جميع اللغات الوحدة الطبيعية للفكرة، كما كان الكلام هو الوحدة الطبيعية للمقال الذي توصف به اللغة، وإذا كان الطريق الطبيعي للإدراك هو البدء بكل ذي معنى، فإننا يمكن الاعتماد على الجملة كوحدة طبيعية في اللغة لها معناها ومدلولها.

وكما إن لكل تركيب في اللغة نغمته الخاصة التي يختلف بها عن التراكيب الأخرى، فإننا إذا سألنا مثلاً: متى نشأت اللغة؟ فإن نغمة تتصاعد في صوتنا مع كل مقطع ابتداء من أداة الاستفهام وحتى نهاية الجملة، ومن هنا يمكن استخدام الحرف لجمل السؤال، وجمل التعجب وجمل الإخبار والدعاء والتمني والأمر والتهديد والنداء وما إلى ذلك من الجمل المعبرة عن حالات الإنسان الشعورية المختلفة.

فنحن ندرك الأشياء في وحدات كلية ذات معنى، ثم ندركها في مرحلة متأخرة كأجزاء وتفاصيل، لذا لا يمكن لنا أن نقرأ الجملة بطريقة طبيعية إلا حينما يكون معناها الكلي بارزاً في وعينا كقراء أو كمتكلمين، ومن هنا تأتي أهمية موسيقا الجملة اللفظية في فهم الكلام وإفهامه، والحاجة إلى صياغة مثل هذه الجمل بأسلوب سهل إذا ما أردنا تدريب الطفل على إلقاء جمل واضحة.

ويزدوج في تركيب الكلام التنغيم الذي يحدد طابع الجملة إن كانت نداء أو تعجباً أو استفهاماً، وهو يترجم حال المتكلم من غضب أو دهشة أو رغبة، وهو المنحنى اللحني للجملة التي تقاس بتغير ارتفاع الصوت أو

العقل، وليس من ناحية وجودها الطبيعي الذي وجدت فيه بالكل، وعندما عقلت، عُقلت أجـزاء ومفـاصـل لأن تلك ميزة العقـل، وهي التقسيم والترتيب والتوزيع لإدراك كِنْهِ المؤسسات البشرية ومن بينها اللغة، وهكذا نختلف معه لأن الوجود الطبيعي سابق للوجود العقلي هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن العقل يظل قاصراً مهما بلغ من القوة عن إدراك كنه كل ما هو طبيعي، وبجميع تفاصيله وجزئياته وعلاقاته.

وتتماشى الأسماء مع طبيعة الأشياء، وتدخل الكلمة «الإسم» كرمز كإشـارة أو دليل أو بديل للشيء الـذي تعـبر عنه سواء أكان من المظاهر الـطبيعية أو المشـاعر الإنسانية، كما أن قدرة الإنسان على إدراك المؤتلف والمختلف أو المتشابه وغير المتشابه من القدرات الأساسية التي تظهر عنده في وقت مبكر من حياته الأولى، ولكن إلى وقت ليس بالبعيد لم يكن يدرك أن الطيور هي زواحف ريشية على سبيل المثال.

وحـين يقـع بصر الإنسـان على الأشياء المحسوسة يخلط بينها أول الأمر، ثم يتمكن رويداً رويداً من إدراك المتشابه وغير المتشابه فيميز الأسود من الأبيض والصغير من الكبير، والباب من النافذة وتصبح الصورة كتابة حين تعتمد كلمة واحدة بعينها، وتحدد لفظاً بعينه، وهذه الكلمة «الصورة» هي التي كانت الخـطوة الحقيقية باتجـاه الكتـابـة السـومـرية القـديمـة والهيروغليفية المصرية.

ولازالت الكتـابـة الصينية تدل كل علامـة كتـابية فيها على كلمة بحالها، كما كان الشرق القديم يعرف ذلك في بداية الكتابة، ولكن رسوم الشرق القديم عبرت عن معانٍ أخرى ملموسة وواقعية هي الأفعال عندما صورت كلمة تحدّث بفم مفتوح وكلمة قطف بيد تمتد إلى الشجرة، ويكى بعين تدمع وهكذا.

وفيما يقوله محمد محمود رضوان في كتاب تعليم القراءة للمبتدئين ما يوضح ذلك فهو يرى أن الطفل يرى صورة الكلب أو القط ويسمع لفظهما على لسان أهله فيتحدد في ذهنه مدلول الكلمتين ثم يرتبط الشكل باللفظ، فإذا سمع بعد ذلك اللفظ لوحده ولم تكن صورته حاضرة، فهم المدلول واستحضر في مخيلته الصورة دون عناء، وهكذا يمكن القول أن الإنسان ينتقل بالتدريج من أشكال الأشياء إلى صور الكلمات فيستخدمها للتمييز بين الأشياء كلما دعت الحاجة لذلك(٩).

وكما تختص الجملة بالتنغيم، تختص الكلمة بالنبر الذي هو بحكم التعريف ازدياد ووضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها، ومرجع هذا الوضوح إلى عنصرين: يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهذه الظاهرة ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز الذي يضغط على الرئتين، ليفرّغ ما فيهما من هواء، تؤدي زيادة كميته إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية.

وينقسم النبر من حيث القوة والضعف إلى قسمين:

١ ـ **النبر الأولي**: ويكون في الكلمات والصيغ جميعاً لا تخلو واحدة منه.

٢ ـ **النبر الثانوي**: ويكون في الكلمة أو الصيغة الطويلة نسبياً، إذ يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للوهلة الأولى كما لو كانت كلمتين عند سماعها بالأذن كما يقول الدكتور تمام حسان في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» ويضرب على ذلك مثلاً كلمة مستحيل التي هي بوزن كلمتين عربيتين، هما بعدَ ميل، ولكن اللغة العربية لا تعطي النبر معنى وظيفياً في الصيغة أو الكلمة، ولا أثر له في المعنى، ويمكن ضبطه بقاعدة لأنه محدد المكان في

البلاد الأجنبية لأن الإماء كنَّ من الأجنبيات، وان أراد كلمة الشرب رسم صورة الفم وفي داخله الماء.

وبالمحصلة لم تكن الطريق التي أوصلت السومريين إلى الكتابة المقطعية طويلة، إذْ انتبهوا إلى وجود كلمات أشاروا فيها إلى صورة تتألف من مقطع صوتي واحد مثل كلمة «مو» التي تعني اسم أو كلمة «كا» التي تعني «فم» أو كلمة «تي» التي تعني حياة.

وقد أدت تسجيلات الكلام ودراسة طَيْفِه في العلوم اللسانية الحديثة إلى التأكد من وجود مقاطع متتابعة في إخراج الكلام، وشاهد العلماء أثناء تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة ما أنها تسير في شكل خط متموج يتكون من قمم ووديان، وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح، وتحتل الصوائت في معظم الأحيان تلك القمم تاركة الوديان للصوامت، لذلك اعتمد علماء الأصوات على دراسة المقطع كوحدة صوتية أساسية في تحليل السلسلة الكلامية.

ولما كان حرف المد لا ينطق به منفصلاً، فقد قرن بالصوت المتحرك قبله، وكان هذا هو السبب في ورود «لا» ضمن الأبجدية العربية كمقطع المقصود به توضيح المد بالألف مقترناً بصوت متحرك قبله، يتلاقى في ذلك مع المقاطع الطبيعية الموجودة في كلامنا العربي مثل «آ» فهي علامة مقطعية دالة على الفرح والاستحسان والبهجة والسرور والحبور وكذلك «أو» علامة للتعجب والدهشة والاستغراب و«إي» التي اصطُلح أن تكون بنقطة واحدة تمييزاً لياء الإمالة عن اختها الياء المشبعة وهي علامة للجواب والموافقة وهناك، «إيي» علامة للحزن والامتعاض والتقزز وما إلى ذلك من المعاني الأخرى المختلفة لمثل هذه المقاطع.

ويظل المقطع في تعريفه العام وحدة لغوية أصغر من الكلمة، وأكبر من الحرف، وهو الوحدة التي تعين الطفل في التعرف على الكلمة التي تتألف من مقطع واحد أو من مقطعين، ويمكن لنا تدريبه على كلمات ذات معنى تتألف من مقطعين بسيطين مكررين مثل بابا، ماما، نانا، دادا.

ويعـرّف بعض العلماء المقطع بأنه نبضة صدرية، أو وحدة منفردة تحرك الرئتين، ولا تتضمن أكثر من قمة كلامية، أو نفخة من هواء الصدر، ومن خلال هذا المنظور يمكن أن نفهم لماذا تبنى الأوزان الشعرية وإيقاعاتها وتحلل في معظم الأحيان على أساس المقاطع الصوتية التي تأتي مباشرة بعد الصوت اللغوي من حيث الأبعاد الزمنية في النطق، والمكانية في الكتابة.

كما يميز علماء الأصوات بين نوعين من المقاطع:

آ ـ المقطع المفتوح الذي ينتهي بصائت قصير أو طويل.

ب ـ المقطع المغلق الذي ينتهي بصامت.

ويفصّل ابن رشد بين المقطع الممدود والمقطع المقصور كما يفرّع ابن سينا المقطع إلى ممدود ومقصور، فيتطابق تحديده مع ما تضبطه الأصوات الحديثة من مقاطع قصيرة وأخرى طويلة[١١].

بهذا الحرف كالراية والرب والرابية والرفش وغير ذلك من الكلمات المبدوءة بحرف الراء، لما كان كل ذلك فإن أجدادنا القدماء استطاعوا بمهارتهم اللغوية تحليل الكلمات إلى مقاطع، والمقاطع إلى حروف، وابتكروا الرموز التي تمثلها، وخطّوا بذلك أول السطور في فن القراءة والكتابة كما سنرى لاحقاً في بحث حرف المبنى في الفصل الثاني من هذا القسم.

الفصل الثاني

حرف المبنى

يقول الفارابي في كتاب الألفاظ:

«انه من الألفاظ الدالة تلك التي يسميها النحويون الحروف التي وضعت للدلالة على معانٍ، وأهل اللسان اليوناني صنفوها بالخوالف والواصلات والواسطة والحواشي والروابط»[14].

والخوالف كل لفظ قام مقام الاسم مثل: الهاء في ضربه وأنا وأنت وهذا وذلك وأشباهها من الحروف التي تخلف الاسم وتقوم مقامه، والواصلات مثل ال التعريف والذي وأشباهه ويا النداء وأخواتها، وكل التي تقرن بالاسم، والواسطة كل ما قرن باسم ما فيدل على أن المسمى به منسوب إلى آخر مثل من وعن وإلى وعلى وما أشبه ذلك، والحواشي مثل: إن ونعم وليت وكأن ولعل، وأدوات الاستفهام وغيرها والروابط مثل: إما ولما وإذن.

ومما يقوله أيضاً في كتاب الحروف ص ١٦٥ الفصل السابع والعشرون «فمن ذلك حرف ما الذي يستعمل في السؤال، وما قام مقامه في سائر الألسنة، إنما وضع أولاً للدلالة على السؤال عن شيء ما مفرد».

الحركات

قد يقع فعل التحريك على ساكن، وقد يطول متحركاً، ثم تهدأ الحركة، وتتوازن على هيئة سكون، ليتم عقب ذلك استئناف الحركة من جديد، وهكذا دواليك، فالحركات تتحول إلى سكون، ويشتد السكون في موضعه، فيتحول بعد طول اشتداد إلى حركة في جدلية لا تنتهي، كتناوب الليل والنهار والنور والظلام، فانعدام الظلمة نور، وانعدام النور ظلمة، وكل منهما ينفي الآخر، ويتناهى إليه.

وهذه الحال هي أيضاً حال الصفر في الأعداد الذي يكافىء لا شيء، وينشأ من المجموعة الخالية، وجمعه إلى العدد الطبيعي هو العدد الطبيعي نفسه، فكذلك هي حال تسكين الحرف، فهو ناتج الحرف نفسه، لأن السكون كما الصفر عنصر محايد بالنسبة للجميع.

ويعرفون السكون في اللغة من خلال الوقف الذي هو لفظ الحرف الساكن، وإن كان السكون يعشق الحركة أيضاً، فالصخرة قد تنتقل من حركة إلى حركة حتى تستقر في النهاية إلى سكون هو ذلك الذي كان قبل الإنفجار الكبير في بداية الكون.

ومراكز جهاز النطق واقعة بين الفكين الفك العلوي ثابت، والفك الأسفل متحرك، وعندما يكون الفك الأسفل مستقراً تكون أعضاء النطق الثابتة فيه ملتصقة بأجزاء الفك الأعلى، وليس من لفظ دون انفتاح الفكين عن بعضهما، وكل انفتاح يؤدي إلى خفض الفك الأسفل، وأيسر الخفض

خفض الوقف الذي هو لفظ الحرف الساكن، وأدنى درجاته وأيسرها همس الساكن المتكرر.

وقد فرق نحاة العربية بين نوعين من الصوائت فأسموا القصير منها حركات وهي الفتحة والضمة والكسرة، وألحقوا بها السكون، لأنه انعدام للحركة، وتكُدُّس صامتين دونها فصل بينهما بحركة، والسكون في الإعراب هو علامة الجزم، ومعناه حذف الحركة، والراعي يسكّن إبله عند حلبها بقـوله بس بس، والأحوال التي يأتي بها السكون متحركاً في أول الكلام نحو: اسمع قولي.

ولاحظ العـرب القـدامى منـذ زمن بعيد هذه العـلاقة بين وضع الشفتـين والفم، عند انتاج الأصوات اللغوية والمثال على ذلك قصة أبي الأسود الدؤلي الذي يُروى أنه قال لكاتبه عندما كان يشكّل القرآن الكريم: إذا رأيتني فتحت شفتي فضع نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت شفتي فضع نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت شفتي فضع نقطة بين يدي الحرف، وقد أدى هذا النص إلى تسمية الحركات العربية بالفتحة والضمة والكسرة*.

وإن أنواع الفتحة لا تفرق بين المعاني في لغتنا العربية، وكذلك أنواع الضمة والكسرة، وإنما الذي يفرق هو الفتحة نفسها بوصفها ليست كسرة وليست ضمـة، وكـذلك الضمة بوصفها ليست كسرة أو فتحة، وكذلك الكسرة بوصفها ليست ضمة أو فتحة، كما هي الحال في اللغات الأخرى التي لديها أنواع من الفتح والضم والكسر لها وظائف تمييزية في الكلمات.

(*) توضيح: النقـطة الـدالـة على الحـركة، وليس النقطة الدالة على النقطة المعروفة حالياً والخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠ ـ ١٧٥ هـ هو الذي أعطى الحركات شكلها المعمول به حالياً، أمـا يحيى بن يعمـر فهـو الـذي وضـع النقاط على الحروف «الإعجام» في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي.

والحركات أصعب من الأصوات الصامتة في النطق إلى حد ملحوظ ، وإن فقدان الحركات في كلمة ما ، لا بد أن يؤثر في توجيه فهمها ، وهي توجد في النفس والهـواء الذي يخترق جدار الفم ، وهي لا تحتل من المدى الزمني إلا بقدر ما يميزها عن الحروف الصامتة.

وتتميز الحركات بنطق مفتوح ، ولا يصادف الهواء المزفور لدى نطقها أي عائق يحدث ضجة احتكاك أو انفجار، وهي بطبيعتها مجهورة أي صائتة بمعنى أن الحبلين الصوتيين يتذبذبان لدى اخراجها.

وتحـد الصـوائت بعمـل عضوين أساسيين هما اللسان والشفتان ، واللسان يعتد به من حيث وضعه العمودي في الإرتفاع والإنخفاض والجزء الذي يتجمع منه ويتكتل لدى الإرتفاع والإنخفاض ، أما الشفتان فانه يعتد بضمهما من جهة وبانفراجهما من جهة أخرى ، وهي من حيث موضع النطق ثلاثة تسمى الحركات ، ومن حيث طريقة النطق ثلاثة أيضاً تسمى المدود.

فالكسرة : صائت أمامي أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون لدى النطق به أقرب ما يمكن من الجزء الأمامي من الحنك الصلب، وتكون حجرة الرنين الفمية في أصغر حجم لها ، كما يكون الفم مفتوحاً ، فتكون الشفتان مشدودتين أقصى ما يمكن لهما من الشد.

والفتحة : صائت وسطي أي أن أعلى نقطة في اللسان أثناء النطق به تكـون وسـطه ، وتنحـو نحـو مركز الوسط في الحنك الصلب، أما الجزء الأمامي من اللسان فيكون أبعد ما يمكن من الحنك الصلب في حين يبقى الفم مفتـوحاً بشكل واسع ، وتكون حجرة الرنين فيه كبيرة ، أما الشفتان فتكونان في وضع مسطح ، وبالكاد منفرجتان أي أن فجوة الشفتين لا تشارك في انتـاج الفتحة ، بل تبقيان في وضع محايد بين التدوير الذي يحصل في الضمة ، والإنفراج الذي يحصل عند لفظ الكسرة.

والضمة صائت خلفي أي أن الجزء الخلفي من اللسان يكون لدى النـطق به أقرب ما يمكن من الحنك اللين «اللهاة» وتكون بذلك حجرة الرنين الفمية صغيرة جداً، وتكون فتحة الفم ضيقة، إلا إن فجوة الفم تكـون أكـبر في نطقه منها في نطق الكسرة لأن الفك الأسفل يكون أشد انخفـاضاً، بحيث يسمح للسان أن يرتد إلى الخلف، أما الشفتان فانهما تكونان مفتوحتين قليلاً، ومتقدمتين نحو الأمام بشكل مدور[١٦].

وهناك حركات جمعت تحت باب الإمالة كالفتحة المشوبة بالكسرة، وهي تمثل مستوى في اللغة العربية الفصحى، ويقرأ بها القرآن، كما أنها موجودة في عدد من اللهجات العربية مثل الفتحة قبل هاء المؤنث في حال الوقوف عليها مثل: رحمه ونعمه.

والإمـالـة الصغـرى صائت أمـامي متوسط مرتفع نصف ضيق غير مدور نحو الفتى وهي المتحولة عند الفتح الذي تتجه به نحو الكسرة، يقابلها في المدود الإمالة المتحولة عن المد المفتوح الذي تتجه به نحو الياء كما في كلمة حُبلى.

أحرف المد

هي التي لا تقبل تحريكاً ولا إسكاناً، كالواو في نحو أدعـو، والياء في نحو أرمي والألف في نحو مها، وهي هنا حركات خالصة من ناحية النطق ومن ناحية الوظيفة أيضاً.

وإذا كان موضع النطق يسمح بالتمييز بين ثلاثة صوائت عربية هي الفتحة والضمة والكسرة، فإن طريقة النطق من حيث طول الصائت ترفع هذا العدد إلى ستة صوائت.

والطول في اللغة العربية يعمل كسمة مائزة تماماً، كما يكون تدوير الشفتـين أو عدمـه السمـة المائزة التي تفرق بين الضمة والكسرة مثلاً، والخلاف بين الصوائت الطويلة والقصيرة إذا كانت منعزلة ليس خلافاً في الكمية والطول فحسب، بل في طريقة النطق كذلك، فموقع اللسان في انتاج أحد الصائتين المتقابلين يكون مختلفاً قليلاً عن موقعه في انتاج الصائت الآخر.

والمدود لا حركة لها مطلقاً، بدليل حذفها من آخر الكلمة المنتهية بها، عندما نقف عليها بالسكون، لأن المد لا يقبل الحركة مطلقاً، والمدود هي المتحركة نحو الجهة التي يتجمع فيها هواء الزفير.

والمـد هو ضرورة تصويتية دعت الحاجة إليه لتنويع معاني الأصل الواحد وكي لا يَحُوْل شكل هذا الأصل القالبي المحدود بعدد من الحروف الصامتة دون توليد المعاني المتعددة.

والمـد في التجـويد، وقـراءة القـرآن الكـريم هو المط أو الـزيادة، واصـطلاحـاً إطالة الصوت بحرف من حروف المد، فهو إذن اشباع الفتحة أو الكسرة أو الضمة وزيادة زمان نطقها، وإذا طالت مدة نطق الحرف الصائت اعتبرناه ممدوداً، وحروف المد سميت بذلك لأن مد الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلا فيها.

والمد المفتوح هو عندما يتسع الفم إلى أقصى درجة ممكنة عند لفظه، كما في كلمـة باب، والألف المدية لا يحرك قبلها إلا بالفتح والمد المضموم ننطقه بشفتين مضمومتين كما في كلمة فول، ولا يحرّك قبلـه إلا بالضم، وعند لفظ المد المضموم في خروج أو دخول يكون اللسان في مجمله منجذباً نحو الخلف.

والمد المكسور ننطقه بجر الشفتين كما في كلمة ميل، ولا يقع قبله إلا الكسرة، وعند نطق المد المكسور في كلمة «ضمير» يتقدم اللسان إلى الجزء الأمامي من الفم.

وهناك مدود جمعت تحت باب الإمالة الكبرى التي هي صائت أمامي متوسط منخفض نصف متسع غير مدور كالإمالة المتحولة عن المد المفتوح الذي نتجه به نحو الياء كما في كلمة سالم وكامل فقد نقول سيلم وكيمل وذلك لوقوع الألف قبل كسرة.

وقـد قال القدماء ان الغرض منها تناسب الأصوات وتقاربها، لأن النطق بالياء انحدار وتسفل وبالألف تصعّد واستعلاء، وبالإمالة تصير من نمط واحد في التسفل والانحدار»[١٧].

أحرف العلة

هنـاك حروف لا يمكن تصنيفهـا مع أي من فئـة الصـوامت أو الصوائت وهي في علم اللغة تشبه إلى حد ما تلك الحيوانات البرمائية التي توصف في علم الحياة بانها كانت تمثل المرحلة الانتقالية بين حياة الكائنات الحية في البحر، وحياتها على اليابسة، كما في ولد يلد ألد، فهي قريبة الشبه بالصوائت من حيث موضع النطق وبالصوامت من حيث ضيق ممر الهواء المزفور.

وليست الحدود واضحة دائماً بين الصوامت والصوائت، فعندما يمد المرء الحرف الصائت المنضم أو نقترب بمقدمة اللسان تدريجياً نحو الحنك الصلب يصبح الاحتكاك الناشيء عن مرور الهواء مسموعاً، وبذلك ينتقل المرء من حرف صائت إلى حرف صامت احتكاكي كما هي الحال في مطلع أداة النداء «يا» وبالطريقة ذاتها نحصل على الصوت الاحتكاكي الواو في كلمة: وارث، وعلى الصوت المغلق الانسدادي المسدود في كلمة آخرة.

ولا ندري لماذا استبعد علماء اللغة العربية المحدثون الألف القطعية من بين أنصاف الصوامت هذه، وهي التي تمثل جميع مستوياتها المضمومة والمكسورة والمفتوحة، كما هي مسجلة في أبجدية رأس شمرا أم الأبجديات القـديمـة والحـديثـة على السـواء، إلا إذا كان ذلك بسبب تأثرهم بعلم اللسانيات اللاتيني وما يتفرع عنه في الغرب الأوربي والأمريكي تحديداً دون تمحيص أو تدقيق.

فالقدماء قالوا: إذا تحركت الألف أصبحت «همزة» وهي التي سموها بالألف القطعية تمييزاً لها عن ألف الوصل التي تمثل مستوى من مستوى الحركات الصائتة القصيرة بينما هذه الألف القطعية تمثل مستوى من المدود الصائتة الطويلة وان اختلفت كل منهما عن أخواتها والانتقال إلى موقع آخر من مواقع الحروف التي يعتمد عليها بناء الكلمة اعتماده على الحروف الصحاح.

وفي التعريف الصوتي الحديث أنه عند نطق الألف القطعية تسد فتحة الحنجرة في طريق هواء الرئة المزفور عند نطق الألف المدية على مستوى الوترين الصوتيين وذلك بانطباقهما انطباقاً تاماً بحيث لا يسمح للهواء المزفور بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرج الحبلان الصوتيان مما يحدث انفجاراً ويحد كما يلي: الألف صوت نصف صامت انسدادي حنجري ويبقى وسط اللسان محايداً عن نطقها كما هو الوضع بالنسبة لألف المد والتغير الوحيد هو حالة الحبلين الصوتيين التي تغيرت من حالة الاهتزاز عند نطق الألف المدية إلى حالة الانغلاق عند نطق الألف القطعية.

وعند نطق الواو يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الضمة أي أن الجزء الخلفي من اللسان يكون لدى النطق به قريباً من الحنك اللين، إلا أن الفجوة بين اللسان والحنك في حال نطق نصف الصامت هذا تكون أضيق منها في حال النطق بالضمة، فيسمع للواو نوع ضعيف من الحفيف يجعلها أشبه بالأصوات الاحتكاكية، بالإضافة إلى أن انتاج الصائت يمتد في الزمن لفترة تطول على مدة انتاج نصف الصامت، ويحد إذن كما يلي:

الواو نصف صامت لهوي مجهور مدور.

وعند نطق الياء يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الكسرة أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون قريباً من الحنك الصلب، إلا أن الفجوة

بين اللسان والحنك حين النطق بنصف الصامت هذا تكون أضيق منها في حال النطق بالصائت فيسمع للياء نوع من الاحتكاك الضعيف يجعلها أقرب إلى الأصوات الاحتكاكية بالإضافة إلى أن الفارق بين الصائت ونصف الصامت يكمن كذلك في المدة التي تكون أطول لدى انتاج الصائت ويحد كما يلي:

الياء نصف صامت حنكي مجهور منفرج.

وهكذا نجد انه إذا كانت الألف الصائتة هي المنطلقة مع هواء الرئة إلى خارج الفم دون عائق، وهي الصوت الطبيعي الناتج بحكم الضرورة فإن الألف القطعية الموصوفة بأنها أم الحروف هي التي صادفت إغلاقاً محكماً على مستوى الحنجرة التي تُعد العضو الأول والأهم في انتاج الحروف والحال هي أيضاً بالنسبة للواو والياء نصف الصامتين اللذين صادفا احتكاكاً في أحد مواضع النطق.

والإعلال الذي نقصده هنا هو التغيير الذي يطرأ على هذه الحروف الثلاثة المتحركة، بالحركات الأربع المعروفة في لغتنا العربية وهي الفتحة والكسرة والضمة والسكون، والحالة الشديدة من الاعلال حين تكون ساكنة لذلك سموها في مثل هذه الحال بالأحرف اللينة، ولأن الأصوات حين تتجاور داخل الكلام يؤثر بعضها في بعض، فإذا تحركت هذه الحروف، وسبقت بحركة غير مناسبة، فإن تغييراً يلحق بها، ويحوّلها من حرف إلى آخر، بعكس الحروف الصحاح التي تثبت في جميع تصاريف الكلمة إلا في حالات نادرة سموها الابدال.

ويقول ابن جني: ان هذه الحروف لما تحركت قويت بالحركة فلحقت بالحروف الصحاح، وهي تقوم بدور الأصوات الصامتة، وتقع موقعها في التركيب الصوتي للغة العربية ولد يلد ألد ووصف يصف أصف وأنها مثلها

قادرة على التفريق بين المعاني ولكنها تظل دونها من حيث الصلابة والثبات .

وأول ما كتب السريان الحـروف الصـامتـة ، وأهملوا كأشقـائهم الساميين كتابة الحروف المدية الألف والواو والياء ، التي كانت عندهم حروفاً صامتة مثل الباء والجيم والتاء رغم المميزات التي تختص بها كأحرف علة .

وإذا كان الإعلال هو تغيير الحرف بقلب أو حذف أو تسكين ، فهو لضرورة صوتية نتجت عن اجتماع الحـروف الثلاثة مع غيرها في الكلمة الواحدة ، وكما إن الضرورة هي التي ألجأتنا إلى تحريكها بحركة غير مناسبة ، فكذلك الضرورة هي التي ألجأتنا إلى قلبها أو حذفها أو تسكينها .

الحروف الصحاح

يمكن تقسيم مختلف الصوامت من حيث طريقة النطق إلى فئتين أيضاً هما فئة الصوامت الإنسدادية التي تتميز بانسداد مجرى الهواء عند نطقها مثل ب ت ك الخ ، وفئة الصوامت الانفتاحية التي تخرج عن تضييق في الممر الهوائي لا يغلقه تماماً مثل س ش الخ .

والصوامت الإنسدادية هي التي تصدر عن انسداد الممر الهوائي في أحد مواضع الآلة المصوتة ، وذلك بواسطة تحركات عضو من أعضاء الكلام وهي الألف والقاف والكاف والتاء والباء والدال والضاد والطاءوالميم والنون

والصوامت الانفتاحية هي التي تصدر عن احتكاك تيار النفس بجدران الممر الصوتي في موضع من مواضع النطق، ويكون الممر الصوتي فيه ضيقاً، ولكن دون انغلاق، مما يسمح بمرور الهواء دون مانع وهي :

العين والغين والجيم والظاء واللام والراء والثاء والخاء والحاء والهاء والشين والسين والفاء والذال والزاي والصاد والواو والياء .

وهناك من يسمي الصوامت الانسدادية بالانفجارية التي تتكون عندما يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً .

وكذلك الصوامت الانفتاحية يسميها بالاحتكاكية التي تتكون بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً .

وهذه الاختلافات في استخدام المصطلح الواحد للوصف اللساني في اللغة العربية من المشكلات التي تشتت ذهن القارىء، ونحن بحاجة ماسة إلى جهة علمية على مستوى البلاد العربية لتحديدها وضبطها ووضع المصطلح العلمي الدقيق بشأنها.

ويكفينا تتبع سير الهواء الخارج من الرئتين في مروره خلال جهاز النطق للتعرف على الحروف الصحاح في اللغة العربية، وذلك بمراقبة انغلاق المجرى الهوائي أو انفتاحه، ودرجات هذا الانغلاق أو الانفتاح من حيث الشدة والرخاوة وما بينهما.

ويحدد الصرفيون وظائف الصحاح في اللغة العربية بقولهم أنها تكون أصولاً للكلمات العربية من حيث الاشتقاق، فتكون فاء للكلمة، أو عينها أو لامها، كما أنها تكون بداية للمقطع، وأنها تقبل التحريك والإسكان وإن الجهر والهمس يفرقان بين الصحيح والصحيح.

والجهر والهمس هو تقسيم للأصوات الصامتة حسب ذبذبة الأوتار الصوتية أو عدم ذبذبتها أثناء النطق، فالصوت المهموس لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، وهو التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف والهاء.

والصوت المجهور هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به وهو الباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والظاء والعين والغين واللام والنون والواو والياء.

ونحن سوف نعتمد تقسيماً آخر غير هذه التقسيمات ألا وهو التقسيم الطبيعي القمري والشمسي، فحروف الهجاء العربية التي هي مدار بحثنا في هذا الكتاب على ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر لكل حرف منها لفظ يميزه عن غيره في النطق، أما في الشكل فإنها لا تحتوي

إلا على نصف هذا العدد المذكور نظراً للشبه الشكلي بين الحروف مثل ب ت ث، وج ح خ وسنوضح فيما بعد القانون العام القائل ما يتشابه رسمه يتشابه نطقه.

ورأينا أنه من الأفضل للاستدلال على نطق هذه الحروف الأخذ بمبدأ التعريفين القمري والشمسي زيادة في الإيضاح وغوصاً في التفسير وصوناً للتصويت الصحيح بهذه الحروف، والذي يذكرنا بالعبادات القمرية الأولى لإنسان الشرق العربي وعباداته القمرية والشمسية والصراع الذي قام بينهما تجسيداً للصراع بين سيطرة المرأة وسيطرة الرجل قبل عصر التوحيد.

فالحروف القمرية أسبق في الوجود والطبيعة من الحروف الشمسية، واللام القمرية هي التي يجب اظهارها إذا وقعت قبل أربعة عشر حرفاً:

الألف والباء والغين والحاء والجيم والكاف والواو والخاء والفاء والعين والقاف والياء والميم والهاء.

وتسمى اللام التي تسبق هذه الحروف بالقمرية تشبيهاً لها بلام القمر بجامع الظهور في كل، وحقيقة الإظهار أن ينطق بالحرف الأول وهو اللام ساكناً، ويخفف الحرف الذي دخلت عليه مثل الأعمى والبصير.

أما اللام الشمسية فهي التي يجب ادغامها بلا غنة، بالحرف الذي بعدها إذا كان واحداً من أربعة عشر حرفاً هي: الطاء والتاء والصاد والراء والثاء والضاد والذال والنون والدال والسين والظاء والزاي والشين واللام.

وسميت شمسية تشبيهاً بلام الشمس بجامع الإدغام في كل، وكيفية الإدغام أن نجعل اللام من جنس الحرف المدغم فيه، فنجعل اللام في والشمس شيناً، وفي والنار نوناً، وهكذا، وفائدته تخفيف اللفظ لثقل عَوْدِ اللسان إلى المخرج الأول، فاختار العرب الإدغام للخفة لأن النطق بذلك أسهل إذا جاء بعد اللام شدّة.

والأسماء المستهلة بالحروف القمرية تقبل أن يلتصق بمستهلها جرس السلام كما في ق القمر ، وهي تخضع للتقسيم الآتي: حلقية وشفوية. فالحلقية: الألف والعين والهاء والياء والحاء والخاء والغين والكاف والقاف والجيم.

والشفوية الواو والباء والفاء والميم.

والحروف الشمسية وسطية تخرج من شطري الحنك الصلب والرخو والحروف الناتجة من الحنك الصلب هي التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والتي تخرج من الحنك الرخو هي: الشين والصاد والضاد والطاء والظاء واللام والنون.

وتكمن أهمية هذا التقسيم في أنه يؤدي دوراً بالغ الأهمية في اللسان العربي، إذ أن كل جملة عربية تكاد لا تخلو تقريباً من التعريف الشمسي أو القمري، وإن دخول اللام على أصوات الأسماء له شيء محسوس ونافر في الأجراس والأوزان والترتيب[١٨].

كما يدل هذا التقسيم على إمكانية اخضاع الحروف العربية إلى التقسيم الثنائي الذي يتيح لنا دراسة الحروف في زمر ومجموعات وأسر حرفية نستطيع من خلالها اكتشاف المزيد من أسرار معانيها التي لاتزال مجهولة بالنسبة لأبناء العربية.

القسم الثاني

المعنى
المحسوس / المعقول

الترتيب الأبجدي :

أبجد، هوز، حطي ، كلمن، سعفص، قرشت: الأصول
ثخذ، ضظغ : الروادف

إذا كان العلم لم يستطع بعد أن يكشف جميع أسرار الإنسان ناهيك عن أسرار الكون كله، فإن كل سر يكتشفه يطرح سراً آخر، منذ أن عرف وحتى الآن، وهكذا إلى ما لا نهاية كما سنرى عند البحث عن تحديد المعنى الأصل والمعنى الفرع لحرفنا العربي ضمن إطار نظرية الثنائية الضدية التي تبحث في بنية الحرف ووظيفته.

وعندما نبحث عن معنى الحرف الأصل بمفرده، فلأنه بمثابة العنصر الأول في المادة الذي لا يوجد مستقلاً بالطبيعة، وإنما ممتزجاً مع غيره من العناصر الأخرى، فكذلك هي حال الحرف في الكلمة، فانه إما أن يكون بداية أو وسطاً أو نهاية.

ولمّا يأتلف الحرف مع غيره يصبح مقولة أي كلمة، وهذه الكلمة هي القابلة للتحليل، ومن خلالها يمكن التعرف على صفات الحرف من خلال وجوده على نظام بعينه دون سواه، وفق جدلية المعارضة بين الحروف التي تحمل معنى الحياة للغة.

وهناك في الحرف العربي معنى أصل له استعمالات كثيرة، وكل استعمال من هذه الاستعمالات يحمل صورة ما من هذا المعنى الأصل، لذا فاننا سنعمد إلى إعداد قوائم لكلمات أصول تحتوي على الحرف موضوع

البحث في كل قسم من أقسام هذا الكتاب عندما تستدعي الحاجة والإيضاح إلى ذلك.

وإذا كان السلف قد عرّفوا العدد بأنه ما ساوى نصف حاشيتيه الكبرى والصغرى مثل العدد خمسة، فحاشيته الكبرى ست وحاشيته الصغرى أربع، فكذلك الحروف الأصول لا تتضح أيضاً إلا إذا كانت في كلمة، ولها موقع في هذه الكلمة محدد بما يجاوره من الحروف الأخرى.

ولما كانت الضرورة هي أصل في العلوم الطبيعية والعلوم العقلية على حد سواء، لذا فان القياس في جميع العلوم يقوم بمهمة المقارنة بين أصل وفرع كي يصل إلى نتيجة، والأصل الأكثر دلالة في لغتنا العربية هو النص اللغوي المنقول إلينا من التراث، والذي لايزال موجوداً في كلام الخلف في شتى أصقاع العروبة، والذي نستدل به على نظام الألفاظ التي هي محاكاة لنظام المعاني في الذهن، وهذه بدورها محاكاة لنظام الأشياء في الطبيعة.

ويؤكد الفارابي أن الأسبقية هي دائماً للمعنى على اللفظ سواء تعلق الأمر منها بالمفرد أو المركب انطلاقاً من أن هناك دوماً أسبقية للمشار إليه على الإشارة كما أن للمعطى الحسي أسبقية على صورته الذهنية في العقل.

والأصل هو الموجود في الجواهر الأولى التي يحددها الفلاسفة بأنها هي الأشخاص أي شخص الإنسان والحيوان والنبات والجماد، ولقد ظهرت فكرة الأصل الجوهر واضحة في أوساط النحاة، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أرجع الألفاظ العربية إلى عدد معين من الحروف اعتبرها في الكلمة النص أصل الأصول كلها[١٩].

والمعاجم العربية القديمة حرصت على الرجوع بالكلمة إلى الأصل الذي أُخذت منه، وإلى إبراز العلاقة التي قد تربط هذا الأصل اللغوي بالموضوع الحسي، ولا يضيرها أنها أخفقت في أحيان، وأصابت في أحيان

أخرى، لأنها كانت تصدر عن فكر لا يستجمع موضوع اللغة كاملاً، وإنما أجزاء منفصلة بعضها عن بعض.

ويظل الأصل في الكلام هو ما في الاسم، وليس الأصل ما في غيره، وانه لا بد لكل كلام مفيد من الاسم، فالاسم هو الركيزة والمحور، وهو معرب بنفسه ولنفسه كما يقول النحاة ويتضمن معنى الفعل، والحرف فيه، وجميع ما يلحق به من الفروع الأخرى كالأفعال والصفات والأحوال وأسماء الزمان والمكان وغيرها.

وفي الواقع الذي نعيش لا يمكن وجود مادة دون صورة لها، ولكن يمكن الانتقال من صورة إلى صورة أخرى، حتى نصل إلى صورة ليست في مادة هي صورة الحرف الذي نبحث عنه، وهي صورة عقلية محض ندعوها بصورة الصور.

والملاحظة العلمية غايتها مشاهدة الوقائع في وضعها الثابت الذي لا يتغير بالنسبة إلى طرفي الزمان والمكان، ولا بالنسبة إلى وضع الإنسان الذي يشاهدها، فالماء مركب من هيدروجين وأكسجين بنسبة معينة، وهو واحد في كل زمان ومكان، وكذلك الهواء فهو مركب من آزوت وأكسجين ومواد أخرى وإن كان هواء المدينة غير هواء الريف وهواء الجبل غير هواء الساحل وماء النيل غير ماء الفرات فكذلك هو الشأن بالنسبة للحروف، فإذا أخذنا الألف مثلاً فإننا نجد لها صفات خاصة يفرضها المحيط الصوتي الذي توجد فيه، والتي يمكن أن يكون لها ثمانية أشكال طيفية، ولكن تظل هي الألف مرققة أو مفخمة أو ممالة أو غير ذلك، ومثل ذلك النون فهي في إن وأن وإن بات وإن وعد وإن يكن تختلف بين كل حالة وأخرى، ولكنها تندرج تحت وحدة نوعية حرفية نسميها النون، وهذه الوحدة النوعية الحرفية هي غايتنا في هذا البحث.

الفصل الثالث
المحسوس
السمعي / البصري

هناك محسوس بصري مادته اللون والحركة، ومحسوس سمعي مادته الصوت أو ما يؤول إليه، في إطار المسألة الأساسية للارتباط الجوهري بين المادة والوعي.

وقد وجد العلماء وعلى رأسهم نيوتن أن النسب الرياضية الفاصلة بين ألوان الطيف السبعة. الأحمر والأرجواني والأصفر والأخضر والسماوي والأزرق والبنفسجي تتقابل مع الأصوات الموسيقية السبعة، ومع ترتيبها كذلك وهي: دو ـ ري ـ مي، فا، صول، لا، سي، وثبت بالتجربة أن الأشخاص الذين يفتقدون إمكانية تمييز طبقات الأصوات الموسيقية يكونون من مرضى الألوان أيضاً[٢٠].

وكما إن الظل والنور أساسيان في إظهار الأشكال بصورة مجسمة، ولولاهما ما وضحت الأشياء المرئية، ولا انبعث منها أي أثر، فكذلك هي الحال بالنسبة للصائت والصامت في الصوت المعبر عن المحسوسات، لأن الحركة ليست أصلاً مستقلاً عن الحروف، وإنما هي في الواقع جزء منها متمم لها، وان الحركة الأولى كامنة في الأشياء نفسها، وتتم على أساس قواها الداخلية، فالصامت يتميز بالصائت، والعكس صحيح في جدلية التطور المتمثلة في حركة المادة من الأدنى إلى الأرقى، ومن الأبسط إلى الأكثر تركيباً.

وحين صدرت عن الحس الألفاظ، ميز الإنسان بين صوت يبدأ بالسهل فالصعب وآخر يبدأ بالصعب فالسهل، وكذلك عندما رأى الصورة، وصفها بما يوحي بسيماها، ويعلن عن مكنونها، وبما يشي بحركتها، وإذا كان القطبان الشمالي والجنوبي للمغناطيس مثلاً جانبين لنفس الظاهرة الفيزيائية من جوهر واحد فكذلك هو الأمر بالنسبة للمحسوس البصري الذي لا يتناقض مع المحسوس السمعي إلا ظاهرياً، في حين يترابطان، ويتداخلان في وحدة لا انفصام بينها باطنياً.

المحسوس البصري

البصر هو هِبَةُ الطبيعة التي تقدمها للإنسان، كي تجعل حياته أنصع وأجمل، والعينان ضروريتان للنمو الطبيعي، ولنشاط الجسم كله، بالإضافة إلى تنظيم علاقة جسم الإنسان بالوسط الخارجي الذي يعيش فيه من خلال الرؤية.

والمادة التي تنقلها العين من خلال إحساسها بالضوء واللون معاً هي كل ما يوجد خارج العقل الإنساني، ومستقلاً، عنه، وان العين تعكس هذه المادة بشكل صور تتشكل في مخ الإنسان على شكل محسوس بصري ثابت أو متحرك، وبالتالي يتولد لدينا محسوسان بالبصر هما المحسوس البصري الثابت والمحسوس البصري المتحرك.

ويقول ابن الهيثم ان البصر مطبوع على أنه عضو حاس فقط، وهو يدرك الظلمة بالإستدلال من عدم وجود الضوء، وان الظلمة هي عدم الضوء بالجملة، ومن المحاكيات البصرية للشيء الطبيعي المبصر، تنشأ جذور لغوية، كنشوء الجيم عن الجبل والجمل والغين عن الغنم والغياب

والكاف عن الكوكب والكرة والكلكلة.

والوظائف البصرية للإنسان هي الإحساس بالضوء، والرؤية المركزية والمحيطية، ويولد الطفل، ومعه الإحساس بالضوء، وبعد فترة قصيرة من عمره يمكن الحكم على وجود البصر عنده وشدته، عندما تتبع العين تحريك الألعاب الحمراء والخضراء والبرتقالية البراقة، وبفضل البصر المجسم يستطيع الإنسان تحديد حجم المادة، والحكم بدقة على نوعها، وأبعادها، وان الأشعة الواردة من الأجسام تتمركز، وتتجمع دائماً على القسم الحساس للضوء في الشبكية.

وعندما تنظر العين إلى الجسم الموجود أمامها، فانها تشكل له خيالاً أو صورة مقلوبة بواسطة العدسة المحدبة الوجهين «الجسم البلوري» وتكون العين في العام الأول للحياة خلافاً لباقي أعضاء الجسم كاملة في تركيبها ووظائفها، وخلال عشرين السنة اللاحقة يكون نمو العين تقريباً كما كان عليه في العام الأول، ومن هنا كانت أهمية هذه الحاسة في أحتواء الشيء المحسوس الذي تراه وتقع عليه.

وكما يدرك الناس بقواهم الحاسة المبصرة الأشياء الخارجية المفردة، وينفعلون بها، وينقلون إلى غيرهم ذلك الإنفعال بواسطة تصويتات تنتظم ألفاظاً، يدركون أيضاً العلاقات الموجودة بين الأشياء المبصرة، والتي قد تقوم بين هذه الأشياء بالبصيرة.

فالمحسوس بالبصيرة هو الناتج عن قصور المعرفة الحسية على ملاحظة ما يتبدى على سطح الظاهرة، وعجزها عن الغوص إلى جوهرها، لذا فانه يتولد لدينا صنف ثان من الإحساس هو ضرورة تخترع في النفس ابتداء، من غير أن تكون موجودة ببعض الحواس، كعلم الإنسان بوجود ذاته، وما فيها من الصحة والسقم واللذة والألم والغم والفرح والقدرة والعجز والإرادة

والكراهية؛ وبالجملة تلك المعارف الناتجة عن الإدراكات الحسية الداخلية والخارجية التي عبروا عنها بالبصيرة قياساً إلى البصر.

والتصور المدرك بالبصيرة هو صورة حسية عيانية ملموسة عما يرصده الإنسان من أشياء وظواهر وأحداث تتكون على أساس أشكال التأمل الحسي، ولا يخرج عن إطار المعرفة الحسية، ولكنه مع ذلك ذو قيمة كبيرة بحد ذاته جنباً إلى جنب مع المفاهيم والتجريدات المنطقية؛ باعتباره انعكاساً حسياً للعالم الخارجي.

والبصيرة شكل جديد من تطور الحساسية لدى الكائنات الرفيعة التنظيم، وتتجلى في القدرة على تكوين صور الأشياء، وصفاتها المنفردة في صورة حسية ملموسة، تنعكس على الأشياء، والصفات التي ترتبط على نحو مباشر، أو غير مباشر بتلبية المتطلبات البيولوجية.

ويرى ابن الهيثم أن إدراك التشابه والتساوي والاختلاف والتفاضل، إنما يتم بالقوة المميزة في النفس، وليس من خلال البصر، لأن الإنسان حينما يبصر شخصاً معيناً كان قد شاهده من قبل وعرفه، فان الإدراك في هذه الحالة هو الإدراك بالمعرفة الذي يمتد ليشمل أيضاً عمليات إدراك كل الأشكال المتعارف عليها، بينما يختص البصر بتمييز الأضواء والألوان وقياس بعضها إلى بعض فقط.[٢١].

ويظل الحرف صورة الشيء في هذا الواقع، كما تلقاها العقل من الحواس فعجمها على صورة حرف مستقل في حالة الضم عنه في حالتي الكسر والفتح، والحروف عندما ينظر إليها من هذه الناحية، تكاد تكون في عدد العناصر الأولية التي تتكون منها أشياء الطبيعة كافة، كما تتكون كلمات اللغة من هذه الحروف أيضاً.

المحسوس السمعي

لما بدأ الاجتماع الحقيقي يرتقي، بدأ الإختراع في اللغة، وأخذ الإنسان يقلّب أصوات الطبيعة، ويجمع فيما بينها عن طريق المحاكاة الموجودة بشكل طبيعي في لغة الأطفال، وبدأ يدرك بعض ما يميز أصوات الطبيعة الناتجة عن حركاتها، وأخذ ينحو عفوياً نحو تمييز الأصوات بعضها عن بعض، حتى وصل إلى ألفاظ متميزة صوتياً ودلالياً، وفقاً للأصول التي انبثقت منها.

ونشأت من محاكيات الصوت الطبيعي المتعدد العناصر جذور لغوية، كنشوء الجيم من جر والغين من غنى واللام من لمّ، حتى استقر الناس على وحدات صوتية تكاد تكون موحدة ومحددة، وتحمل في أدائها أبرز عناصر الصوت الطبيعي الذي تعبر عنه جذور الكلمات الدالة على الأشياء.

ويمكن تعيين الجذور التي تقترب من المحاكاة الحقيقية للصوت الطبيعي الذي يلازم مدلولها في لغتنا العربية مثل الخرير الذي هو حكاية لصوت المياه المتدفقة من منحدر مع تكرير الراء، كي يكون مشابهاً لصوت الماء الجاري، وكذلك هي الحال في الطحير والشخير والنحيب.

وإذا كان أصل اللغات الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد وخرير الماء، وصهيل الفرس، ونعيق الغراب، فان السماع هو الآخر الأساس الأول الذي دونت بموجبه اللغة الصوتية التي نعرفها الآن، ولأن الصوت ظاهرة طبيعية تستعملها الكائنات الحية على اختلافها، وهو الأثر الحادث عن الحركة والمادة معاً.

ومما يقوله ابن سينا في المسموعات الطبيعية أن الهاء نسمعها في اندفاع الهواء في الهواء بقوة، والعين في اندفاع الهواء في الماء بقوة، والخاء عن إخراج الهـواء من مضيق رطب، والحاء عن حك جسم جاف بجسم صلب، والقاف عن انشقاق الأجسام، والشين عن نشيش الرطوبات، والسين عن مس جرم يابس بجرم آخر مثله، والطاء عن تصفيق اليدين، والفاء عن حفيف الأشجار وهكذا[٢٢].

ومـمـل يزيد في إيضاح ما قاله ابن سينا بهذا الخصوص: أن الدال نسمعهـا في الـدنـدنـة والدبدبة، والهاء في الهسهسة والهمهمة والهزهزة، والقـاف في القهقهـة، والنون في النحنحة والنقنقة، والواو في الوحوحة، والحـاء في الحمحمـة، والبـاء في البـطبطة، والفاء في الفرفرة، والصاد في الصرصرة، والخـاء في الخرخرة، والغين في الغرغرة، والجيم في الجعجعة والطاء في الطنطنة، والزاي في الزمزمة، والثاء في الثرثرة، والتاء في التمتمة، والميم في الململة وغير ذلك من الكلمات التي لاتزال تَحْفِظُ آثاراً سمعية من أصواتها الطبيعية الأم.

وتقـوم الأذن بدور أسـاس في حياة الإنسـان الجسـدية والنفسية والاجتماعية وهي الآلة التي يستيقظ بها الإنسان على وجود ذاته، وهي التي تتلقى الصوت الناتج عن اهتزاز جسم ما بتأثير قوة ما، وتحوله من إشارات مادية الـذبـذبـات في الهـواء إلى إشارات عصبية تنتقل إلى الدماغ الذي يفسرهـا، ويحـولهـا إلى أفكار ومفاهيم في ذهن الإنسان، ويظل استعمال الحنجرة، في الكلام الإنساني، مشروطاً باستماع الأذن له.

وتبـدو الأصـوات الطبيعيه للسمع بسيطة تكاد لا تتجاوز الصوت المكرر، وتتناسب في بعض الأحيان أصوات الدال بوحداتها وتركيبها مع أصوات المدلول أو بعض صفاته الأخرى، فالأصوات الفخمة، قد تلائم

المـواقف القـوية والمعـاني الناعمة قد ترتدي حللها من الأصوات اللينة، والألحان الصافرة تواكبها الحروف الصفيرية وما إلى ذلك.

ويشرح ذلـك «نعيم علوية» في كتـابه «بحوث لسانية» فيقول: فر تشتمل على ذينك العنصرين على صورة مختصرة، ولأن الفاء نافخة والراء ربرابة تكون فر كافية، لأن يعقل الذهن الصوت الطبيعي للرفرفة، وان الصـوت عنـد الإنسـان يختلف تماماً عن الصوت عند الحيوان، فالكائن البشري وعى منذ القدم أهمية الصوت والتصويت في حياته اليومية، وفي علاقاته مع بني جنسه أفراداً وجماعات، وهو تفاعل نفسي عضوي مستخدم لإعطاء دلالات معينة.

والأذن الإنسانية لا تسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية التي تستقبلها بها، بل قد تنتهي إلى الحكم على صوتين مختلفين فيزيائياً بأنهما صوت لغوي واحد، كما انها قد تحكم على وجود فرق بين صوت واحد، لذلك كانت الأصوات أجراس مسموعة يختلف كل منها عن الآخر، ولكل منها السمع الخـاص به في مجمـوعـة إنسـانية دون غيرهـا من المجمـوعات الأخرى، بالإضافة إلى ذبذباتها الصوتية المحددة طبيعياً مثل العين العربية التي تمثل مشكلة حقيقية للناطقين بغير العربية[٢٣].

ويقوم تعلم اللغة الأم عند الطفل على اكتساب الحركات النطقية التي تسمح بتوليد مجموعة السمات التي يتعرف عليها متكلمو اللغة كأصوات متباينة تمتاز عن بعضها بعض بصفات سمعية وصوتية ودلالية.

ويظل الصـوت ظاهـرة مركبـة شديدة التعقيد، ويتصف بالقـوة والإرتفاع والجرس، والانتقال من الظاهرة إلى الجوهر، ومن الجوهر الأقل عمقاً إلى الجوهر الأعمق كي تتزين الألحان بفصول النغم الانفعالية، ولكن ما يعنينا هنا هو الصوت البشري، المادة الأساسية في بناء اللغة، وكيفية

إنتـاج هذا الصوت، والخصائص التي تميزه كصوت مفرد، والكيفية التي ينتقل فيها من المتكلم إلى السامع.

وقـد كان الصوت اللغوي، ومايزال مصحوباً في تاريخ حضارات العالم بالمعنى المعقول المقصود من خلال صورة نطقية موصوفة ومحددة في رمز مكتوب مقروء يحل محله أو يكمل دلالته، ويظل هذا الصوت فاقداً لهويته ما لم نبحث عن معقوله أولاً والمقصود من هذا المعقول ثانياً.

الفصل الرابع

المعقول
الحقيقي / القصدي

يرى الفيلسوف الهولندي سبينوزا «أن العقل متمم للمادة، أو صفة من صفاتها» ومن هذا المنطلق نفهم العقل الذي هو منطق اللغة الداخلي الذي يحكم اجتماع الحرف مع الحرف في الكلمة الواحدة المخترعة من قبل واضع حكيم، ومن أجل حكمة مقصودة.

والمعنى الابتدائي لكلمة عقل هو الربط، والعُقال الرباط الذي نعقل به، ورجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه، والعاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعرب سمت الفهم عقلًا، لأن ما فهمته قيدته وضبطته، والعقل بمثابة قيد للمعاني يقيدها ويحفظها ويربطها، والعقل أخيراً هو العلم، والعلم سكون نفس العالم إلى ما يعتقده ويُعقله[٢٤].

وأول رسول من الصانع إلى المصنوعين هو العقل الذي لم يكشف بعد عن جميع الأسرار، لذا كان من حقه الدفاع عن نفسه، من خلال تحليل آلية عمله كمنهج، والكشف عن حقيقة تصوراته كرؤية، ومن خلال البرهان الذي يقرر صدق قضية ما، والمنطق الذي يحلل العلم إلى مبادئه وأصوله.

وعاقل وصف يخص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات، ومادة

عقـل في القـاموس المحيط للفيروز آ بادي معناها العلم بصفات الأشياء خيرها من شرها، وحسنها من قبحها، وكمالهـا من نقصانها، ومادة عقل في المنجـد فهم وتـدبر، والعاقل المدرك الفاهم الحكيم، والعاقل من القوم سيدهم، والمعقل الملجأ: الجبل المرتفع.

والحـروف من أوائـل الألفاظ التي نطق بها الإنسان، ومن أكثرها تداولاً الألف الأليفة الزفيرية، والهاء الخافتة الشهيقية، ثم ابتدأ يجمع بين الأصوات الطبيعية، وبين الحروف، عن طريق المحاكاة دالاً بالحرف على مدلوله، ولازال ذلك معروفاً في لغة الأطفال حتى اليوم، وهذه هي الحالة التي كانت تمثل بدء اختراع اللغة العقلية، حين كانت الحاجة لا تتجاوز الإشـارة إلى أمهـات المعـاني الطبيعية، واستطاعت بعد ذلك هذه اللغة العقلية أن تساهم إلى حد ما في البحث العلمي عن ماهية المؤسسات البشرية.

ويقول الفارابي «ان السعادة لا يمكن أن تحصل للإنسان، إلا إذا كان يعيش في مجتمع فاضل، وليس من سبيل أن تصبح المدن فاضلة، إلا إذا عكست في نظامهـا نظام الكـون كله، من تماسك أجزائه، وتسلسل المراتب والمنازل فيه، وأن مدينة العقل هي التي تعكس في نظامها وعلاقات أجـزائهـا أرقى ما يمكن أن يبلغه الإنسان في سلم العقلانية وان واجب الوجود هو عقل وعاقل ومعقول[٢٥].

وإذا كانت العـدالة وفقاً لمفهوم الفارابي لا تتمثل بالمساواة بقدر ما تكمن في الانسجـام وهي ان يمتلك المرء ما ينتمي إليه فعلاً ويؤدي الوظيفة الخـاصة به، فهذا الوضع لا يتعارض مع الصامت والصائت في الكلمة الواحدة، والمنطق العقلي الذي يربط بينهما، ويتحكم في وجودهما بل يتشابه إلى حد ما إن لم نقل يتطابق معه كل المطابقة أو بعضها.

المعقول الحقيقي

يظل التفكير المجرد قادراً على النفاذ إلى جوهر الموضوع، لكنه لا يمتلك المعطيات الضرورية كي يستعيد جوهره في العقل أداة المعرفة، ويظل المفهوم المعنوي كالمفهوم الحسي لا بد أن يشتمل على عناصر حسية، إذ لا عقل بلا أداة تعقل أو أشياء تُعْقَل.

ويبدو أن قدرات الإنسان العقلية، قد تكونت للتعبير لغوياً عن موضوع الإدراك، ومعقول الإنسان ليس شيئاً جاهزاً، فهو يزيد بزيادة العقل، وينقص بنقصانه، واننا عندما نعقل هذا الشيء كي نرسمه على صورة نشاط لغوي، فان ذلك يختلف عن الشيء نفسه، وعن معقولات أخرى غير لغوية مثل الزهرة فهي في نظر الفنان وعالم النبات والطبيب واللغوي مختلفة باختلاف الناظرين إليها، لأن كلاً منهم يعقلها باتجاه القصد الذي يريد والهدف الذي يسعى إليه.

فالطبيب ينظر إلى الزهرة من خلال فائدتها العلاجية، والفنان ينظر إليها من خلال جمالها وتناسق ألوانها، وعالم النبات يرى فيها أقصى سلم التطور النباتي، واللغوي يتأمل اسمها، ويحاول أن يسترجع الصلة بينها وبين هذا الاسم سواء من ناحية الشكل أو من ناحية الحركة.

ويُعنى الحرف بصدى الصوت الذي يحاكي الطبيعة الصوتية، لذلك فان الحرف الموجود أولاً يختلف عن الحرف الموجود وسطاً أو آخراً، ونحن نلفظ على سبيل المثال «كرع» لصوت الماء النازل من الفم إلى الرئتين مروراً بالحلقوم، وكذلك الأمر في درج التي تعني الحركة من الأسفل إلى الأعلى

وفق ترتيب هذه الحروف، وعكسها جرد التي تعني الحركة من الأعلى إلى الأسفل.

ويقول الباحث محمد عنبر في كتابه جدلية الحرف العربي «إن الأشياء في ذاتها متضادة متشابهة، لأنها من نسيج واحد مثل لفظ «قر» الذي يتجه إلى التجمع والتكاثف، بينما يتجه لفظ رق إلى التبدد والإنبساط والرقة انبساط والقرار تجمع والطائر يفر مبتعداً ويرف مقترباً والعقل هو الذي ساهم في تقريب معنى هذين اللفظين، وفق نظامه الداخلي الذي يعمل به، ألا وهو المنطق العقلي، كما ان العقل العربي تحديداً هو الذي أعطى للحرف العربي معناه، وهذا العقل لا ينفصل عن العقل اللغوي الإنساني، ولكنه لا يتطابق معه تمام المطابقة.

المعقول القصدي

الحرف المقصود هو الذي ترتضيه الجماعة حرفاً لها، وان الدماغ يعوض ضعف الحواس، وليس المهم جرس الحرف فقط، بل انتاجه أيضاً بالإرادة وتوظيفه للدلالة، ويرى شومسكي أن النظرية اللغوية هي نظرية عقلانية تُعنى باكتشاف الحقيقة العقلية الكامنة تحت السلوك الفعلي

وهناك بيت لكل رمز حرفي، وقيمة معينة لهذا الرمز، وكل بيت تتوقف معرفته على عدد من القيم التي يمكن لرمزه أن يأخذها، ولكل حرف شخصية اعتبارية مستقلة بذاتها افراداً وتركيباً معنى ونطقاً، صوتاً وكتابة وان الحرف اللغوي الواحد يتكون من مجموعة سمات تمايزية مختلفة يؤدي اتحادها فيما بينها إلى المفارقة بين هذا الحرف وجميع الحروف الأخرى في اللغة الواحدة.

والمخ لدى الإنسان مزود بما يسمى مناطق الترابط، وهي المناطق التي تربط بين مراكز الإحساس البصري والسمعي واللمسي معاً، وتتركز الروابط المسؤولة عن وظائف الكلام في أحد شقي المخ فقط «الشق الأيسر عادة» إذ توجد التركيبات الترابطية التخصصية التي تقوم بالتحويل الضروري للإشارات البصرية السمعية إلى تكوينات لفظية مسموعة ومنطوقة ومقروءة.

وعندما يحدث تفاعل كيميائي بين العناصر المكونة للخلية ينتج تياراً كهربائياً تحمله الخيوط العصبية إلى العضلات فتسبب حركة أعضاء الكلام، ويخطط المخ للعملية الكلامية باعتبارها كلاً لا يتجزأ، وهذه العملية معقدة تتطلب توجيه ومراقبة عدد كبير من العضلات وتصحيح سلوكها أيضاً.

كما يعمل المخ على توظيف التعبير ليتيح للإنسان الاتصال والابلاغ خارجياً، والإفصاح عن عقله ومدى اكتناهه وإدراكه للأمور داخلياً، من خلال الأعصاب المتوزعة في جميع أنحاء الجسم التي ترتبط بالحواس الخمس وهي العين والأذن والأنف واللسان والجلد.

وهكذا يكون الحرف المقصود على علاقة بالشيء الذي أردنا تسميته ومن خلال عمل المخ يمكن أن نفهم كيف أن الإنسان العربي استطاع أن يضبط مخرج التاء من كلمة تف الشيء المستكره المذاق مثلاً وكيف استطاع أن يجرده من الصوت الطبيعي، وبالتالي تحديد الجهة التي تستخدم بها الصورة العقلية.

فالصورة عندما تكون لغوية يكون القصد فيها واضحاً بيناً، يتمثل في هذا الحرف الذي ضبطه، وأخذ الصورة التي تناسب النطق، ولفظ بها على صورة حرف يرمز إلى صفة من صفات هذا الشيء المعقول دون صفاته

الأخرى التي لا يحتاجها فيما يقصد إليه.

ولكن ما هو مهم هو ما تتعارف عليه جماعة معينة كرمز لمفهوم مجرد عن المادية المحسوسة مثل اصطفاق أجنحة الطيور التي نسمعها كتتابع طاءات طْ طْ طْ التي أصبحت الجذر اللغوي للطاء التي نعثر عليها الآن بكل يسر وسهولة في لفظ وطواط.

وسواء استقى الخليل بن أحمد الفراهيدي المبدأ الذي اعتمده في ترتيب حروف الهجاء في معجمه «العين» من علماء السنسكريتية كما يعتقد بعض العلماء أو أن ذلك الترتيب كان من ابتكاره، فان هذا المبدأ هو منتوج عقل رياضي فذ اهتدى إلى نظرية المجموعات في صيغتها المعاصرة كما يرى الباحث محمد عنبر في كتابه جدلية الحرف العربي.

وما يهمنا هو الانتقال من التعميم إلى التخصيص عند الحديث عن الحرف معتمدين على النظرة إلى الأجزاء من خلال الكل، وإبراز الوحدة من خلال التعدد والإقرار بأهمية الاعتماد في التصنيف على البنية الداخلية وليس المظاهر الخارجية وحدها.

ويكفي أن نلاحظ أن الأسماء المشتقة وهي مقولات النحاة تتمايز فيما بينها بالإصاتة ففاعل الألف للفعل كـ «قاتل» ومفعول الواو للانفعال كـ «مجروح» وفعيل الياء للفعل كـ «كريم» وفعّال الشد والألف للفعل مع الكثرة كـ «سبّاق» وأفعل ألف القطع للتفضيل كأحسن وهكذا.

ومن خلال هذه الأمثلة نجد أن الصورة الصوتية هي التي تعطي للكثير من المشتقات دلالتها المنطقية، وكما يقول الدكتور «تمام حسان» في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها» أن للأبنية والقوالب العربية وظيفة فكرية منطقية يتعلم منها أبناء العربية المنطق والتفكير المنطقي بطريقة ضمنية فطرية.

كما يجمع علماء البلاغة على أن أساليب البيان في اللسان العربي ترجع كلها إلى التشبيه، ويرى الجرجاني أن سر الإعجاز في التشبيه عندما يستوفي شروطه البيانية والبلاغية، وهو الذي يستهدف الانتقال بالمخاطب من المعقول إلى المحسوس، ولا يزيد التشبيه عن كونه قياساً.

أما القتيبي فانه يقول ان أصل الحرف السكون أي الاستقرار على حال معينة، والسكون حركة مستقرة في حالة توازن، كالنظام في الأسرة فهو سكن لها واستقرار، وهو شكل يضم بالتبعية والضرورة مضموناً سليماً لذلك كان قياس الحرف بسكونه.

ويقول حسن عباس ان بعض أصوات الحروف يوحي بأحاسيس لمسية وبعضها الآخر بأحاسيس ذوقية، وان لكل من حواس الشم والبصر والسمع أصوات حروف تثير فينا الأحاسيس في هرم طبقي متدرج قاعدته حاسة اللمس وذروته المشاعر الإنسانية[٢٦].

وهكذا نجد أن الألفاظ اللغوية، كما هي عليه الآن، لم تكن موجودة إلا بعد أن جاء الإنسان بأصوات الطبيعة وقطعها واختزلها وآلف فيما بينها، هذا الإنسان الذي أدرك الأشياء قبل أن يعقلها، وعقلها قبل أن ينطقها، ونطقها قبل أن يعرفها كتابة، وسوف نختار لكل حرف وصفاً يحدده سواء أكان معقولاً أو منطوقاً أو مكتوباً، فالألف على سبيل المثال أليفة في المعنى، هاوية في النطق، سيفية في الكتابة.

أما إذا كنت قد أكثرت من الاستشهاد بأقوال لغويينا القدامى والمحدثين وجعلها تُزاحِمُ بعضها بعضاً دون فصل أو تعقيب أو تعليق، فليس ذلك إلا تبياناً وإيضاحاً لفكرة علاقة الحرف بالمعنى من جهة، ومن جهة ثانية لتوضيح ارتباط المعنى بالقصد، وليس إطلاق ذلك كيفما اتفق، كما يتبادر للذهن دون تقييد أو ضبط أو تعيين.

القسم الثالث

الصوت
المنطوق/ المسموع

الترتيب الهجائي

ألف هاء، حاء عين، قاف كاف، خاء غين، شين جيم، ياء نون، لام راء، تاء طاء، دال ضاد، سين صاد، زاي ثاء، ذال ظاء، فاء باء، ميم واو.

يقسم النشاط اللغوي عموماً إلى لغة منطوقة، ولغةمكتوبة، واللغة المنطوقة هي لغة المشافهة التي تشكل منظومة سمعية لفظية متميزة عن اللغة المكتوبة.

ويعتمد الكلام المنطوق على أساسين أحدهما حركي يسمى المخارج، والثاني سمعي يسمى الصفات، وتتنوع الأصوات المنطوقة وفقاً لذلك باتجاهين: الأول مواضع الحبس والإعاقة، وهو ما يصطلح عليه بمخارج الأصوات، والثاني كيفيات الحبس والإعاقة وهو ما يصطلح عليه بصفات الأصوات.

ولا يخرج علماء اللغة المحدثون عن هذا المنهج الثنائي الذي رسمه علماء التجويد العرب خلال بحث الأحرف المستعملة في كل لغة أحدهما حركي عضوي يسمى المخارج والثاني تنفسي صوتي يسمى الصفات.

والصوت كما يقول ابن سينا يحدث من القرع وعن مقابله وضده القلع، والقرع ملامسة جسم لجسم، والقلع تبعيد جسم عن جسم، والقرع ضغط الهواء وطرده، والقلع اندفاع الهواء في المكان الخالي، وفي كلتا الحالتين يتموج الهواء ويحدث الصوت.

ويقول علماء الفيزياء المحدثون في أسباب حدوث الصوت: ان الصوت ينشأ عن اهتزاز جسم يولد تضاعفاً وتخلخلاً في جزئيات الوسط المرن الذي يحيط به، والصوت بذلك حركة اهتزازية تحدث تغيرات، في الضغط عند الأذن، فينتقل هذا الاهتزاز إلى عصب السمع فالدماغ.

وعلم الأصـوات أوصاف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز النطقي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المصاحبة لهذه الحركات، وان القيمة الفعلية للنطق هي نقل المعنى من شخص إلى آخر، لذلك يجب أن نعوّد أنفسنا على الكلام غير المستعجل، والمنطوق جيداً مع توقفات حتى ننقل الفكرة مع النطق.

وعلم الأصـوات النطقي هو لدراسة أعضاء النطق وحركتها وبيان وظائفها أثناء احداث أصوات الكلام أما علم الأصوات السمعي فهو يهتم بدراسـة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع.

وبشكل عام يعالج علم الصوت مرحلة احداث المتكلم للصوت، وخروجه من فم المتكلم نحو أذن السامع، والتقاط الأذن له، وفك إشاراته ورمـوزه في الـدماغ الذي له دور فعال في توجيه آلية النطق عند انطلاق الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع(٢٧).

والانتـاج والاستقبال هما عمليتان فسيولوجيتان، يساهم في الأولى المخ وجهاز النطق، وفي الثانية المخ وجهاز السمع، والمتكلم والسامع هما طرفا حركة النشاط النطقي الموصوف.

فعندما يستعد الإنسان للتكلم يستنشق الهواء، فيمتلىء صدره به، ثم قبل أن يباشر التكلم تتقلص عضلات صدره وبطنه، ويضغط الحجاب الحاجز ليندفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المسؤولة عن انتاج الأصوات.

وتواصل هذه العضلات تقلصاتها بحركة بطيئة مضبوطة كي يخرج تيار متواصل من الهواء عبر الأعضاء المصوتة إلى أن ينتهي المتكلم من الجزء الأول من كلامـه، فتبدأ عملية الشهيق مرة أخرى بإملاء الصدر بالهواء وبسرعة استعداداً لانتاج القسم التالي وهكذا دواليك.

والحرف الطبيعي في النطق هو الحرف الهاوي الذي يتسع مخرجه لهواء الصوت، فلا يقع الحرف فيه على مدرج من مدارج الحلق واللسان أو غيرها من سائر المخارج، ويتلوه في التكون أحرف الحلق لقربها من مصدر الصوت، ثم تكونت باقي الحروف على نظم طبيعي بطيء، وذلك بارتقاء أوتار الصوت، وتفنن الإنسان في توقيع الأصوات عليها، لأن الحلق إنما هو أصل الحلقة أداة الموسيقى اللغوية، ومن هنا وصفت الحلوق بأنها مزامير طبيعية، والمزامير حلوق صناعية.

الفصل الخامس

الصوت المنطوق

تُردُّ جميع الحروف إلى صوت يخرج من تجاويف الفم وما يتصل به، وهي تجاويف متجاورة كلما مر بها الهواء انبعث منها صوت معين متناسق ومتوافق مع كمية الهواء المتفجرة، وطبيعة التجويف، وحال الناطق.

وترجع أهم عوامل الظواهر الصوتية على اختلاف أشكالها إلى أعضاء النطق، وطريقة أدائها لوظائفها، وتأثرها بالظواهر الجغرافية، وأساليب انتقالها بطريق الوراثة من الأصول إلى الفروع.

فالأنف يشهق الهواء، والرئة تزفره، والحنجرة والفم يحبسانه والحبلان الصوتيان واللسان يموجانه وينوعانه، ويمكن تقسيم أعضاء النطق إلى نوعين هما:

١ ـ النواطق الايجابية وهي: الأعضاء المتحركة في عملية النطق وتشمل الرئة والحبلين الصوتيين واللهاة واللسان والحنك الرخو والأسنان السفلى والشفتين.

٢ ـ النواطق السلبية وهي: الأعضاء الثابتة في عملية النطق وتشمل الحنجرة والحلق والتجويف الأنفي والحنك الصلب واللثة والأسنان العليا.

ويجري الاعتماد في رصد مخرج الحرف على الجهاز الثابت والجهاز المتحرك من أعضاء النطق بشكل كامل، لأن المخرج آلة تنتج الصوت بطريقة آلية، ويمكن تقسيمها إلى ما تحت الحنجرة «المنفاخ» الذي يصدر

الصوائت على مختلف أنواعها، ومنها الأصوات الهاوية الألف والواو والياء، وما فوق الحنجرة التي تبدأ بمنطقة البلعوم، وتنتج الصوامت الخارجة عن انحباس الهواء أو ضيق مجراه حال التقاء ناطق متحرك بناطق آخر ثابت.

وتقع مراكز جهاز النطق بين الفكين: الفك الأعلى ثابت والفك الأسفل متحرك، وعندما يكون الفك الأسفل مستقراً تكون أعضاء النطق فيه ملتصقة بأجزاء الفك العلوي، وليس من لفظ دون انفتاح الفكين عن بعضهما، وكل انفتاح يؤدي إلى خفض الفك الأسفل، وأيسر الخفض خفض الوقف الذي نلفظ فيه الحرف ساكناً، وبهذا السكون نستدل بكل وضوح ويسر على جميع مخارج حروفنا العربية.

وينتج الصوت اللغوي عن أربع عمليات منفصلة هي حركة تيار الهواء التي ترتبط بالرئتين، ونشاط التصويت الذي يرتبط بالحبلين الصوتيين، وزيادة حجم الصوت الذي يرتبط بفجوات الأنف والفم، والعملية النطقية التي ترتبط باللسان والشفتين.

١ ـ فالطاقة هي القوة العضلية التي تحول الهواء إلى تيار له خصوصية الحركة، والرئتان هما العضو الفعال في تحريك الهواء، وهما بمثابة منفاخ يسحب الهواء في عملية الشهيق، ويدفعه في عملية الزفير، ويتحول الهواء إلى تيار هو مادة الصوت.

٢ ـ التصويت هو عملية تنظيمية لتدفق تيار الهواء في جهاز النطق وإكسابه خصوصية الصوت وانتاج الموجات الصوتية الناجمة عن اهتزاز الحبلين الصوتيين في الحنجرة، والموجة الصوتية هي موجة طولية يكون تذبذبها موازياً لاتجاه حركتها، ويكون مركزها أعضاء النطق مصدر انبعاثها.

٣ ـ العملية الرنينية: هي زيادة حجم الصوت بفعل الفراغات

الرنانة في جهاز النطق، وهي فراغ القصبة الهوائية، وفراغ الحنجرة، وفراغ الحلق والفم والأنف، وهكذا يتحول تيار الهواء المتحرك إلى صوت هو مادة النطق.

٤ ـ نشاط النطق: هو عملية تنظيمية أخرى لتسرب تيار الهواء، وذلك باعاقته في ممراته الحنجرة والحلق والفم، ويتم النطق بالتقاء أعضاء النطق التقاء محكماً يمنع تسرب الهواء، والتقاء غير محكم يؤذن فيه للهواء بالتسرب، ومن ذلك التقاء عضلة اللسان بالأسنان أو سقف الفم، والتقاء الشفة السفلى بالأسنان العليا وتضام الشفتين[٢٨].

جهاز النطق

يشترك اللسان في تصويت الحروف الصامتة والصائتة، وهو ينفرد بهذه المهمة الجليلة من بين أعضاء جهاز النطق لذلك يقال لسان العرب للدلالة على لغتهم، ولكن هذا لا يعفينا من التعرف على جهاز النطق الذي هو مجموع أعضاء النطق المستقرة في الصدر والعنق والرأس.

ويتألف هذا الجهاز من الرئتين والقصبة الهوائية والحنجرة والحبلين الصوتيين، والحلق والتجويف الأنفي واللهاة والحنك واللثة والأسنان والشفتين واللسان.

١ ـ اللسان: أهم أعضاء النطق وأكثرها مرونة، وهو العضو العضلي الذي يتكون من سبع عشرة عضلة تسمح له بالتحرك في كل اتجاه لتغيير حجم وشكل التجويفين الفمي والحلقي.

ويقسم عادة إلى خمسة أقسام هي:

١ ـ الرأس: وهو حد اللسان ونهايته.

٢ ـ المقدمة: وهي الجزء الذي تنطبق عليه اللثة في حالة الصمت أو اغلاق الفم.

٣ ـ الظهر وهو وسط اللسان المقابل للحنك الصلب.

٤ ـ المؤخرة وهي الجزء المقابل للحنك الرخو.

٥ ـ الجذر وهو أصل اللسان الذي يغير من شكل وحجم تجويف الحلق ويستر سطح اللسان غشاء رقيق فيه فروع عصبية تصل إلى العصب الذوقي، ومنه إلى المخ، فنشعر بطعم المواد الحلوة والمالحة والمرة والحامضة.

٢ ـ الرئتان: كيسان اسفنجيان يمتلئان بالهواء، ثم ينقبضان، فيندفع الهواء خارج الفم أو الأنف بعد أن يكون الدم قد استخلص منه مادة الأكسجين وهما عضو مزدوج فعال يمد جهاز النطق بمادة الصوت «الهواء» ويكسبه خصوصية الحركة.

٣ ـ القصبة الهوائية: قناة يندفع فيها الهواء من الرئتين إلى الحنجرة، وبالعكس، وتنقسم من أسفلها إلى فرعين رئيسيين هما الشعبتان اللتان تدخلان إلى الرئتين.

٤ ـ الحنجرة هي عبارة عن صندوق غضروفي ينتصب فوق القصبة الهوائية وهو العضو المسؤول عن التصويت، وتعد بمثابة صمام ينظم تدفق تيار الهواء، ويمكن تسميتها بالمصدر الصوتي.

٥ ـ الحبلان الصوتيان: عضلتان غُطيتا بنسيج مخاطي، وتشبهان شفتين تمتدان في الحنجرة نفسها أفقياً من الخلف إلى الأمام، وتلتقيان عند البروز الذي نسميه تفاحة آدم، ويُسمى الفراغ بين الحبلين الصوتيين بالمزمار، وحالتهما بين الانفتاح والانغلاق والاقتراب والاهتزاز.

٦ ـ الحلق: تجويف يقع بين الحنجرة والحنك الرخو، ويتصل بالتجويف الأنفي عن طريق الفراغ الواقع خلف اللهاة والحنك الرخو، وهو

ما يعـرف بالحلق الأنفي ، وان الجـانب الأمامي للحلق يتكون من جذر اللسان أي الجزء الخلفي منه .

٧ ـ التجويف الأنفي : فراغ عظمي مبطن بغشاء مخاطي ، وهو غير قابـل للحركة يعمل على اكساب الصوت خصوصية الغنة التي تتجلى في الأصوات الأنفية الغناء كالميم والنون .

٨ ـ اللهـاة هي زائـدة لحمية صغيرة متحركة تتدلى على الحلق من الطرف الخلفي للحنك اللين ، وهي تتراجع إلى الخلف لتسد الحلق الأنفي عنـد النطق بالأصوات الفمية ، كما تهبط إلى أسفل عند النطق بالأصوات الغنّاء ولتسمح للهواء بالتسرب خلال الحلق الأنفي إلى الفراغ الأنفي .

٩ ـ الحنك هو القوس الذي يشكل سقف الفم فاصلاً بين تجويفي الأنف والفم ويتكون من :

أ ـ الجزء اللين الرخو غير العظمي المجاور للهاة الذي يمكن رفعه رفعاً كاملاً حتى يتصل مع الجانب الخلفي للحلق فيغلق بذلك طريق الهواء إلى الأنف ، وهو الذي يحدد بحركته هذه ما إذا كان الصوت أنفياً أو فمياً .

ب ـ الجـزء العظمي الصلب المجاور للثة ، وغير القابل للتحرك ، ويقع بين اللثة والحنك اللين .

١٠ ـ اللثـة : وهي الحافة المحززة المحدبة مما يلي الأسنان العليا ، وتُعْرَفُ بمفارز الأسنان ، وتقع خلف الأسنان الأمامية مباشرة .

١١ ـ الأسنان : هي السلسلة العاجية المثبتة بالفكين الأسفل والأعلى بالفم وهي أسنان عليا وأسنان سفلى موزعة على طرفي اللثة .

١٢ ـ الشفتـان : هما حافتا الفم البارزتان ، ولحركتهما أثر هائل في تشكيل حجم تجويف الفم ، وتنـوّع الصـوائت ، فتـدوير الشفتين يعطي الضمة وشدّهما يعطي الكسرة وفتحهما يعطي الفتحة كما تساهمان في انتاج

عدد من أصوات اللغة الأخرى[٢٩].

وتمارس هذه الأعضاء نشاطاً منظماً لانتاج الأصوات ويؤدي كل عضو وظيفته بصورة محكمة، فلا تضطرب عملية الكلام، وهناك شيء لا يمكن اغفاله عند محاولة تكلم أية لغة وهو أن يصدر المرء أصواتها بشكل سليم مفهـوم دون ارتباك أو تشويش، ولا يكون ذلك إلا بتحديد مخرج الحرف وتمييزه عن غيره بالعمل على تسكينه بعد ألف الوصل أو تشديده، فحيثما انقطع صوته كان مخرجه.

مخارج الحروف

نعتمد في تحديد مخارج الحروف على أساس انطلاق الهواء من الرئتين إلى خارج الفم، مروراً بأعضاء النطق الثابتة التي تسمى المخارج وهي: الحنجرة والحلق والحنك الصلب واللثة والأسنان العليا.

وعند النظر إلى كل مخرج من مخارج حروفنا العربية نجدها تتداخل وتأتلف في زمر ومجموعات، وكأن بينها وبين بعضها نسباً ورحماً يصل ماضيها بحـاضرهـا تتـوزع في سبـع مجموعات هي: الجوفية والحنجرية والحلقية والحنكية واللثوية والأسنانية والفمية.

ويقع القارىء في التشويش بسبب اختلاط المصطلحات والتباسها في كتب اللغة القديمة والحديثة على حد سواء، لذا اعتُمدت النقطة النطقية الثابتة في تحديد المخرج، وأربع صفـات للحبلين الصوتيين هي: الانغلاق والانفتاح والاهتزاز والسكون، وخمسة أقسام للسان هي: الرأس والمقدمة والـظهـر والمؤخرة والجذر بالإضافة إلى صفاته الأخرى في حالات التكتل والانبساط والعلو والانخفاض.

١ ـ المجموعة الجوفية وهي الألف والواو والياء المدية التي تحدث عندما يندفع الهواء من الرئتين في القصبة الهوائية دون حصول عائق في طريقه حتى خروجه من الفم يرافقه اهتزاز في الحبلين الصوتيين.

وعند نطق الألف يرتفع ظهر اللسان، ويكون الفم مفتوحاً إلى أقصى درجة نطقية، أما عند نطق الواو فان اللسان يتجه نحو الخلف، ويكون الفم نصف مفتوح على هيئة تدوير، وعند نطق الياء يتجه اللسان نحو الأمام وتكون فتحة الفم في أقل تضييق لها.

٢ ـ المجموعة الحنجرية وهي الألف القطعية والهاء.

عندما يتدخل الحبلان الصوتيان لإغلاق المزمار الواقع على مستوى الحنجرة إغلاقاً تاماً، ويتكتل جذر اللسان ليشكل حائطاً للحلق يمنع تسرب الهواء يحدث صوت الألف القطعية.

وعندما يتدخل الحبلان الصوتيان في تضييق فتحة المزمار من الخلف مع سكونهما، وينبسط جذر اللسان ليسمح للهواء المزفور بالمرور يحدث صوت الهاء.

٣ ـ المجموعة الحلقية وهي الحاء والعين والقاف والكاف والخاء والغين.

عندما يرجع جذر اللسان إلى الوراء، ويقترب من الجدار الخلفي للحلق، ليضيق مجرى الهواء المزفور مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الخاء.

ولكن عندما يزداد ممر الهواء ضيقاً عما كان عليه النطق بالحاء، ويهتز الحبلان الصوتيان يحدث صوت العين.

وحين تلتقي مؤخرة اللسان مع اللهاة، وتلتصقان التصاقاً محكماً

ليحبس تيار الهواء لحظة، ثم يُطلق سراحه مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت القاف.

وعندما تلتصق مؤخرة اللسان بالحنك الرخو التصاقاً محكماً، ويمنع الهواء لحظة، ثم ينفرج العضوان دون اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الكاف.

وعندما ترتفع مؤخرة اللسان باتجاه الحنك الرخو، وتترك فراغاً ضيقاً لتسرب الهواء المزفور الذي يحدث بما يشبه شخير النائم مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الخاء.

وعندما تترك مؤخرة اللسان ممراً لتسرب الهواء من ناحية الحنك الرخو يحدث ما يشبه الغرغرة مع اهتزاز الحبلين الصوتيين ينتج صوت الغين.

٤ ـ المجموعة الحنكية وهي الشين والجيم والياء.

عندما تقترب مقدمة اللسان من الحنك الصلب لتسمح للهواء بالمرور في ممر ضيق مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الشين.

وحين تقترب مقدمة اللسان من الحنك الصلب لتسمح للهواء بالمرور في مجرى ضيق مع حدوث اهتزاز في الحبلين الصوتيين يحدث صوت الجيم.

وعندما يزداد ممر الهواء اتساعاً بين الحنك الصلب ومقدمة اللسان، ويهتز الحبلان الصوتيان يحدث صوت الياء.

وعند نطق الياء يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الياء المدية أي أن الجزء الأمامي من اللسان يكون قريباً من الحنك الصلب إلا أن الفجوة بين اللسان والحنك حين النطق بالياء الصامتة أو نصف الصامتة أضيق منها في حال النطق بالياء المدية الصائتة، فنسمع للياء نوع من الاحتكاك الضعيف.

٥ ـ المجموعة اللثوية وهي النون واللام والراء والتاء والطاء والدال

والضاد والسين والصاد والزاي.

عندما ترتكز مقدمة اللسان على اللثة لتحول دون تسرب الهواء من الفم، ثم تهبط اللهاة قليلاً ليندفع الهواء من خلال الحلق الأنفي إلى التجويف الأنفي مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت النون.

وعندما ترتكز مقدمة اللسان على اللثة لتسمح للهواء المزفور بالتسرب من أحد جانبي الفم مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت اللام.

وعندما تلامس مقدمة اللسان اللثة في خفة، وتطرقها عدة طرقات مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الراء.

وعندما تلتصق مقدمة اللسان باللثة، ويرتكز رأس اللسان على الأسنان العليا، ولا يجد الهواء منفذاً إلى خارج الفم، ثم يهبطان مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت التاء.

وعندما تلتصق مقدمة اللسان باللثة، ويرتكز رأس اللسان على الأسنان العليا مع ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الرخو، ولا يجد الهواء منفذاً إلى خارج الفم، ثم يهبطان مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الطاء.

وعندما تلتصق مقدمة اللسان باللثة، ويرتكز رأس اللسان على الأسنان العليا، يجد الهواء منفذاً إلى خارج الفم مع اهتزاز الحبلين الصوتيين، ثم يهبطان يحدث صوت الدال.

وعندما تلتصق مقدمة اللسان باللثة، ويرتكز رأس اللسان على الأسنان العليا، مع ارتفاع المؤخرة نحو الحنك الرخو، ولا يجد الهواء منفذاً إلى خارج الفم، ثم يهبطان، مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الضاد.

وعندما تقترب مقدمة اللسان من اللثة، تاركة ممراً ضيقاً يتسرب منه الهـواء مع ارتكـاز رأس اللسـان على الأسنـان السفلى، وسكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت السين.

وعندما تقترب مقدمة اللسان من اللثة تاركة ممراً ضيقاً يسمح بتسرب الهواء، مع ارتكاز رأس اللسان على الأسنان السفلى، وارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك الرخو، وسكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الصاد.

وعندما تقترب مقدمة اللسان من اللثة تاركة ممراً ضيقاً يسمح للهواء بالتسرب، مع ارتكاز رأس اللسان على الأسنان السفلى، واهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الزاي.

٦ ـ المجموعة الأسنانية وهي الثاء والذال والظاء.

عندما يقع رأس اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، ويسمح للهواء بالتسرب مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الثاء.

وعنـدمـا يقـع رأس اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، ويسمح للهواء بالتسرب مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الذال.

وعنـدمـا يقـع رأس اللسان بين الأسنان العليا والسفلى، ويسمح للهـواء بالتسرب مع ارتفـاع مؤخـرة اللسـان نحو الحنك الرخو، واهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الظاء.

٧ ـ المجموعة الفمية وهي الفاء والباء والميم والواو.

عنـدما تقترب الشفة السفلى من الأسنان العليا، وتلامسها بحيث تسمح للهواء المزفور بالمرور مع سكون الحبلين الصوتيين يحدث صوت الفاء.

ويوجـد في بعض لغـات العـالم مقابل مجهور للفاء، يهتز الحبلان الصوتيان لدى النطق به هو الڤاء.

وعندما تتلامس الشفتان السفلى والعليا، ويقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً عندهما، ثم تنفرجان، ليندفع الهواء فجأة من الفم مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الباء.

واعتاد علماء الأصوات المقابلة بين هذا الموضع المجهور في النطق مع الوضع المهموس لصوت الپاء.

وعندما تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً، ويحبس الهواء ليضغط كي يمر جزئياً عن طريق التجاويف الأنفية، مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الميم.

وعندما تستدير الشفتان، وترتفع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين ليتسرب الهواء خلال فتحة ضيقة، مع اهتزاز الحبلين الصوتيين يحدث صوت الواو.

وهناك من يحدد خمسة عشر مخرجاً للحروف على ترتيب ذهابها مع الصوت ابتداء من الصدر وانتهاء بالشفتين يختلف قليلاً عما حدده سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدي، ولكنه لا يتطابق تماماً مع ما حددته اللسانيات الحديثة بالترتيب الذي أوردناه سابقاً، ومن المفيد ذكر هذا الترتيب لبساطته ووضوحه.

١ ـ أحرف المد وهي الألف والواو والياء الخارجة من جوف الصدر والمنتهية إلى هواء الفم.

٢ ـ الألف القطعية والهاء من أقصى الحلق /الحنجرة/ غير أن الألف أدخل فيه.

٣ ـ العين والحاء من وسط الحلق والعين أدخل من اختها.

٤ ـ الغين والخاء من أدنى الحلق إلى الفم والغين أدخل.

٥ ـ القاف من بين أقصى اللسان، وما فوقه إلى الحنك.

٦ ـ الكاف مما يلي مخرج القاف من اللسان والحنك.

٧ ـ الجيم والسين والياء من بين وسط اللسان وما فوقه من الحنك غير أن الجيم أدخل والياء أخرج.

٨ ـ الضاد من بين جانب اللسان من أقصاه إلى قرب رأسه، وبين ما يقابل ذلك من الاضراس العليا، فتستغرق أكثر حافة اللسان.

٩ ـ اللام من بين جانب اللسان حيث ينتهي مخرج الضاد إلى منتهى طرفه وبين ما يقابل ذلك من الحنك الأعلى فوق الأسنان فالضاد واللام يتوزعان حافة اللسان.

١٠ ـ الراء والنون من بين طرف اللسان إلى رأسه وبين لثة الثنيتين العلويتين غير أن الراء أدخل في ظهر اللسان قليلاً.

١١ ـ الطاء والدال والتاء من بين طرف اللسان، وبين أصول الثنايا العليا صاعداً إلى الحنك غير أن الطاء أدخل والتاء أخرج.

١٢ ـ الصاد والسين والزاي من بين رأس اللسان والثنايا من غير أن يتصل بها الحرف، وإنما يحاذيها ويسامتها، غير أن الصاد أدخل والزاي أخرج.

١٣ ـ الظاء والذال والثاء من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا غير أن الظاء أدخل والثاء أخرج.

١٤ ـ الفاء من بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

١٥ ـ الباء والميم والواو من بين الشفتين منطبقتين للباء والميم ومنفتحتين للواو غير أن الباء أدخل والواو أخرج.

الفصل السادس
الصوت المسموع

لا يمكن تصنيف الأصوات اللغوية تصنيفاً دقيقاً طبقاً لمواضع نطقها فقط، بسبب اشتراك صوتين أو أكثر في المخرج الواحد، مما يستدعي النظر إلى كيفيات النطق بهذه الأصوات لتمييزها وفقاً لصفاتها.

والصفة هي الكيفية التي يتم بها حبس أو اطلاق تيار الهواء في جهاز النطق، وهي تُتخذ أسلوباً لتصنيف أصوات الكلام في أصوات موسيقية تحتوي على اهتزازات دورية تسمى الصوائت، وأصوات ضجيجية غير موسيقية لا تملك اهتزازات دورية هي الصوامت بالرغم من وجود صوامت تملك تركيباً سمعياً يشبه التركيب الموجود في الصوائت مثل اللام والميم والنون.

كما يمكن تقسيم مختلف الصوامت من حيث طريقة النطق إلى فئتين هما الصوامت الانفتاحية التي تخرج عن تضييق في الممر الهوائي لا يغلقه تماماً مثل الفاء والسين والشين. . . ، وفئة الصوامت الإنسدادية مثل الباء والتاء والكاف كما مر سابقاً عند الحديث عن الصوامت في فصل حرف المبنى.

فعندما يندفع الهواء من الرئتين، في القصبة الهوائية، يصادف خلال مروره على مستوى الحنجرة الحبلين الصوتيين اللذين يحدثان اهتزازات متعددة ومختلفة في الفترة والاتساع، وتحدث بالتالي مجموعة لا تحصى من الموجات الصوتية تتدفق الى الفراغات العليا فيما فوق الحنجرة، وخلال

مرورها بكل فراغ تنعدم الموجات التي لا تتوافق مع تردد الغرفة، وتتقوى بالرنين الذي يوافقها، وهكذا حتى خروج الهواء المزفور كلياً من فتحتي الأنف والفم، الطرف الآخر لجهاز النطق.

وتُستخدم القصبة الهوائية خلال مرور الهواء المزفور بها كحجرة رنين ذات أثر بين في درجة الصوت، ولاسيما إذا كان الصوت عميقاً، أما الحنجرة فهي ترتفع عند نطق الأصوات الحادة، وتنخفض عند نطق الأصوات الغليظة، وتعدل التجاويف فوق المزمارية في الموجة الحنجرية، وتحدد تواتراتها، كما يقوم الحنك اللين من خلال حركته بتحديد ما إذا كان الصوت أنفياً أو فمياً، ويساهم اللسان في تعديل طبيعة الصوت من خلال تحديده لطول تجويف الفم، وتستخدم التجاويف* الأنفية في تضخيم عدد من الأصوات.

ويسعى الإنسان إلى التحكم في شكل وحجم مختلف التجاويف الموجودة في جهاز النطق عنده، لإحداث الفروقات الصوتية التي يريدها، فهو يتحكم بحنجرته بدرجة الصوت، كما يتحكم في اختلاف الموجات الصوتية من خلال السيطرة على مواضع النطق والتجاويف الواقعة فوق الحنجرة.

وتتقدم الحركة كل قرع أو نقر، ويحمل الهواء المنبعث عن المقروع الصوت، وأسباب الحدة والثقل في الأصوات، فالهواء الشديد الاجتماع «حاد» والهواء القليل الاجتماع «ثقيل» والذي يحاكي الحلوق هو الرباب وأصناف المزامير والنايات، والثقوب الصغيرة في المزامير يخرج منها الصوت «أحَدّ» والثقوب الكبيرة يخرج منها الصوت «أثقَل» وهكذا[٣٠].

والمعدل الوسطي لتردد اهتزازات الأصوات خمسمئة هرتز تقريباً، فإذا تعدى الصوت هذا المعدل كان الصوت حاداً، وإذا انخفض إلى دونه كان

الصـوت خفيفـاً، وهـذا يعني أن التواتر العالي يولد صوتاً حاداً، والتواتر الضعيف يعطي صوتاً خفيفاً.

والصوت إما أن يكون بسيطاً، وإما أن يكون مركباً، وغالباً ما تكون الأصوات التي نسمعها مركبة، أي مؤلفة من صوت أساسي، ومن أصوات توافقية، ويمتاز الصوت المركب عن الصوت البسيط لدى إدراكه عن طريق الأذن بمعيار آخر غير الشدة والارتفاع ألا وهو الطابع الذي ينتج عن سعة نغماته التوافقية، وتواتراتها، واتحادها بالصوت الأساس والذي يدرك إجمالاً بطريقة ذاتية، فيقال هذا الصوت لطيف أو مزعج أو بشع أو جميل... الخ.

ولما كانت الأصوات الكلامية مجرد اهتزازات تنتشر بسرعة معينة في الهواء، فان الاختلاف في الامتداد والتعرض والغلاظة والنعومة، وسرعة الاهتزاز وبطئه يضعنا أمام أصوات مختلفة ومتباينة ومتميزة؛ علينا أن نبحث عن سر اختلافها وتناقضها في مجرى الصوت الذي ينكشف عن أجراس نغمية في كل حرف من حروفنا اللغوية.

وبالمحصلة يمكن تمييز الأصوات من حيث الاختلاف والتماثل بطرق ثلاثة هي درجة الصوت وارتفاعه ونوعيته، فدرجة الصوت هي عدد مرات الإهتزاز في الثانية، وقوامها التردد، ونميز من خلالها بين الصوت الحاد أو الثقيل، وارتفاع الصوت هو معدل طاقة اندفاع تيار الهواء وقوامه الشدة، ونميز من خلالـه بين الصوت القوي والضعيف، ونوعية الصوت هي ما يعرف بالنغمة أو الجرس، ونميز من خلالها بين الصوتين المتماثلين في الدرجة والارتفاع من خلال اختصاص كل منهما بنغمة مثل الثاء والذال الأسنانيان مخرجاً الرخوان صفة فلا نميز بينهما إلا من خلال الجهر والهمس.

صفات الحروف

وقد لجأ اللغويون إلى تقسيم الصفات إلى صفات ضدية : مثل الجهر وضده الهمس، والشدة وضدها الرخاوة وصفات لا ضد لها مثل الصفير والتفشي واللين وغيرها من الصفات التي نتناولها تفصيلاً فيما يأتي .

وهي التي لا بد لكل حرف اعتماد من أن يكون له منها خمس صفات، وحروف الاعتماد في اللغة العربية هي التي يعتمد عليها المعنى باستحضار بعض لوازم المعبر عنه كالشكل أو البنية أو الحركة أو الصوت، وصوت الشيء هو بعضه، أو عينة من الشيء تتناسب من خلاله أصوات الدال بوحداتها وتركيبها مع أصوات المدلول أو بعض صفاته .

والصفات التي لها ضد خمس هي الجهر وضده الهمس والشدة وضدها الرخاوة والاستعلاء وضده الانخفاض والإطباق وضده الإنفتاح والذلاقة وضدها الإصمات .

١ ـ الهمس والجهر:

الهمس لغة : «الخفاء»واصطلاحاً جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج وبعبارة أخرى هو ما لا يهتز معه الحبلان الصوتيان وحروفه عشرة هي : الهاء والحاء، والشين والخاء، والسين والصاد، والتاء والثاء، والكاف والفاء، والهمس من صفات الضعف .

والجهر هو ذلك الرنين المصاحب للصوت نتيجة اهتزاز الحبلين الصوتيين، وهو يشبه إلى حد بعيد دوي النحل، ويمكن التحقق من الجهر بتحسس حركة الحبلين الصوتيين بلمس الغلصمة، كما ان سد الأذنين عند النطق بالصوت المجهور يؤدي إلى الإحساس بضجيج الجهر في تجاويف الرأس .

والجهـر لغـة «الإعلان» واصـطلاحـاً انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الإعتماد على المخرج، وبعبارة أخرى هو ما يهتز معه الحبلان الصوتيان، وحروفه الثمانية عشر الباقية وهو من صفات القوة.

٢ ـ الشدة والتوسط وضدهما الرخاوة:

الرخاوة والشدة من أهم خصائص الصوت الصامت، وتبدو الرخاوة في حفيف الصوت عندما يضيق مجرى الهواء المزفور لدى النطق به مثل: الصاد والفاء، كما تبدو الشدة في انفجار الصوت عندما ينحبس لحظة مثل الباء والكاف، وعندما لا ينحبس الصوت انحباسه مع الأصوات الشديدة، ولا يجري جريانـه مع الأصـوات الرخوة يكون من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة.

فالشدة لغة «القوة» واصطلاحاً انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف لكمال الاعتماد في المخرج، أي هو الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه كالقاف والطاء فلو قلنا: الحق والقط مثلاً ثم أردنا مد الصوت في أي من هذين الحـرفـين لامتنـع ذلـك والأحرف الشديدة ثمانية هي: الألف والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء.

والرخاوة لغة «اللين» واصطلاحاً جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج، والحرف الرخو هو الذي يجري فيه الصوت كالسين والشـين، فلو قلنا الرسّ والرش، ثم أردنا مد الصوت في السين والشين لاستطعنا ذلك وهي خمسة عشر حرفاً هي الهاء والحاء والغين والخاء والشين والسين والصاد والضاد والظاء والثاء والذال والزاي والياء والواو والفاء.

والحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة التي لم ينحبس الصوت معها انحبـاسـه مع الشديدة، ولم يجرِ معها جريانه مع الرخوة هي خمسة اللام والنون والعين والميم والراء[٣١].

٣ ـ الاستعلاء وضده الانخفاض:

بعض الأصوات تعلو وترتفع إلى فوق عند نطقها، فتنسب إلى الأعضاء العالية، وبعضها ينخفض ويتسفل فينسب إلى الأعضاء التي تحت الحلوق أو أسفلها بالقياس فقط وليس المعنى الحرفي لكلمة أسفل.

والاستعلاء لغة «الإرتفاع» واصطلاحاً ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة هي: الخاء والغين والصاد والضاد، والطاء والظاء والقاف، والاستعلاء من صفات القوة.

والانْخفاض لغة «الاستفال» واصطلاحاً انحطاط اللسان عند خروج الحرف من الحنك إلى قاع الفم، وحروفه ما عدا حروف الاستعلاء المذكورة سابقاً، ومن صفاته الضعف إلا الراء واللام المفخمتان في بعض الحالات.

٤ ـ الانطباق وضده الانفتاح:

هناك صوامت انسدادية تصدر عن المواضع ذاتها، وتختلف عنها بطريقة تنويع ميكانيكية الهواء من حيث التفخيم مثل الطاء فهي تاء مفخمة

والانطباق لغة الالتصاق، ومعناه أن نرفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، وأحرفه أربعة هي الصاد والضاد والطاء والظاء وهي أقوى حروف التفخيم، ولا يكون الإطباق تاماً إلا مع الطاء.

والإنفتاح معناه انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى وخروج النفس من بينهما عند النطق بحروفه الأربعة والعشرين الباقية والتي يتم استخدام جزء يسير من مقدمة اللسان عند النطق بها.

٥ ـ الذلاقة وضده والإصمات:

هناك الخيشوم وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم تخرج منه

بعض الحروف المغنونة التي يتعلمها الطفل في لغته الأم كأصوات متميزة فيما بينها بصفات سمعية وصوتية.

والـذلاقة من الذلق وهي الطرف وسُميت بذلك لسرعة النطق بها وخفتها، والإذلاق لغة حدة اللسان وطلاقته واصطلاحاً: الاعتماد على طرفي اللسان والشفة ومقدم الحنك الصلب في نطق حروف الإذلاق الستة: الفاء والباء والميم والنون واللام والراء.

والإصمات من الصمت وهو المنع، وسميت بذلك لأنها ممنوعة من انفرادها في كلمة على أربعة أحرف أو خمسة بمعنى أن كل كلمة يكون فيها حرف أو أكثـر من الحـروف المـذلقة إلى جانب الحروف المصمتة الاثنين والعشرين الباقية.

ولمعرفة صفات كل حرف من هذه الصفات المتضادة تتبع هذه القاعدة:

أ ـ إذا لم تكن الحروف مهموسة فهي من حروف الجهر.

ب ـ إذا لم تكن الحروف شديدة أو متوسطة فهي من حروف الرخاوة.

ج ـ إذا لم تكن من حروف الاستعلاء فهي من حروف الانخفاض.

د ـ إذا لم تكن من حروف الإطباق فهي من حروف الانفتاح.

هـ ـ إذا لم تكن من حروف الإذلاق فهي من حروف الإصمات.

ثم نزيد على الحرف ما يوافقه من الصفات التي لا ضد لها، وهي الصفير والتفخيـم والقلقلة واللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة.

١ ـ الصفير:

هو آلية نطقية درجة الانفتاح معها أضيق من آلية الرخاوة وهذا يؤدي إلى ارتفاع في صوت الحفيف الحادث عن الاحتكاك حتى يغدو صوتاً يشبه

الصفير الحاد، والأصوات العربية الحادثة بهذه الآلية هي السين والزاي والصاد.

٢ ـ التفخيم:

هو أن يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر على هيئة ملعقة، بينما يكون طرفه ملتحماً مع جزء آخر من أجزاء الفم مشكلاً محبساً من المحابس الصوتية المختلفة، وهذا ما يعطي الصوت المنطوق طابعاً خاصاً من الضخامة والفخامة والأصوات الفخمة هي الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف.

ويقابلها السين والدال والتاء والذال والكاف.

والتفخيم: هو تغليظ الحرف عند النطق به، والترقيق هو خلاف التفخيم.

٣ ـ القلقلة:

الصوت المقلقل في العربية هو صامت يُخشى خفاؤه عند النطق به ساكناً أي خالياً من علامة الإعراب، أو مجاوراً لصامت آخر، فيزداد توضيحه بفتح إغلاق مخرجه.

والقلقلة: عبارة عن تقلقل المخرج عند خروجه ساكناً حتى يُسمع له نبرة قوية، وحروفها خمسة هي القاف والطاء والباء والجيم والدال.

وسميت حروف القلقلة لأن صوتها لا يكاد يتضح بسكونها ما لم تخرج إلى شبْه المتحرك لشدة أمرها في الخفاء مثل فقطْ، الفلق، أحدْ، الحجْ، قطب.

٤ ـ اللين عبارة عن أحرف الواو والياء والألف الساكنة بعد حركة الفتح في حالة الوقف مثل خوف وبيت وبأس مع لين وسهولة وعدم كلفة على اللسان أما في حالة الوصل فلا تمد هذه الأحرف.

٥ ـ الإنحراف هو ميل الراء واللام عن مخرجهن إلى طرف اللسان فاللام تميل إلى مخرج النون، والراء تميل إلى ظهر اللسان.

٦ ـ التكرير هو قبول الراء للتكرير لارتعاد طرف اللسان عند النطق بها، وهذه الصيغة تُعرف كي يتم اجتنابها لا للعمل بها.

٧ ـ التفشي هو انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين وسمي متفشياً، لأنه تفشى في مخرجه حتى اتصل بمخرج غيره، أو هو انتشار الهواء من جانبي اللسان عند النطق بصوت الشين.

٨ ـ الاستطالة هي امتداد الضاد في مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام وسمي بذلك لاستطالته في الفم حتى اتصل بمخرج اللام.

وهكذا نجد أنه لتذوق الحروف عند نطقها أهمية كبيرة في التمييز فيما بينها، فلو أن الإنسان مثلاً أخذ في فمه ماء وتكلف تقريبه من الحلق، ثم رفع فيه الهواء لسمع صوت الغين، ولو قدمه قليلاً ولم يمكّن الهواء من أن يصعد إليه مستقيماً بل منعطفاً، واعتمد عليه بالحفز لسمع صوت الحاء ثم الخاء ثم الغين على أن الرطوبة في الغين أكثر منها في الخاء.

القسم الرابع

الرمز
المكتوب/ المقروء

الترتيب الألفبائي

١ - ب ت ث - ج ح خ   د ذ، ر ز، س ش، ص ض، ط ظ، ع
غ، ف ق، ك ل، م، ن، هـ، و، ي.

إن تطور الإنسـان هو الآن من بين الوقائع المتفق عليها في تاريخ الحياة، وثبت أنه كان لنشوء اليد القابضة القادرة على الإمساك بالأشياء، والقيام بمختلف الأعمال التي تتطلب البراعة، والرؤية المجسمة، والدماغ الـذي يوجه الأفعال، ويفسر مغزاها، ثبت أن لكل ذلك الأثر الكبير في ازدياد قدرة التجويف الفمي على الحركة، واستخدام الكلام الذي يضع المنجزات الحضارية في متناول الجميع.

ويتميز الإنسـان بامتـلاكـه اليدين المتحررتين القادرتين على صنع الأدوات واستخـدام الأسلحـة، وإمسـاك الأشياء بواسطة الإبهام المقابل للأصـابـع الأخـرى، بالإضـافـة إلى دقـة الحس التي تساعد عليها بنية الأصـابـع، وحتى رؤوس الأصـابـع نفسها، التي تقوم فروع الأعصاب اللمسية بنقله إلى المخ الذي يقوم بتفسيره.

وإذا كان الإنسـان قد حاز هاتـين اليدين البـارعتين قبل أن يحوز الدماغ المتطور القادر على تنسيق الأفعال والتحكم فيها، وإذا كان نشاط البشر المعـرفي متعذر خارج الأشكال التي تنقلها الأحاسيس ومنها حاسة اللمس، فإن كل ذلك لا ينفي خصوصية الفكر النوعية التي يتم بواسطتها الوقوف على الطبيعة الداخلية للأشياء، أي على صفاتها الجوهرية وقانونياتها الأساسية.

ويقـع مركز الكلام في قشرة المخ، أسفل الجزء التحتي من القسـم الجبهي، كاستمرار لمراكز حركة الحنجرة والفم الموجودة في المكان نفسه،

والتي تتجاور تجاوراً مباشراً مع مراكز حركة اليدين والفكين، لذلك كان من المنطقي ظهور شيء جديد منذ خمسين ألف سنة تقريباً، هو الأداة «الحجر» مترافقاً مع ظهور أصوات كلامية جديدة.

وإذا كان الكلام هو تتابع الإشارات اللغوية في الزمن، فان الكتابة التي دشنت نهاية فترة ما قبل التاريخ هي تتابع الإشارات في الزمان والمكان، وإذا كانت الكتابة نظاماً ترميزياً، فان القراءة هي نظام فك الرموز الذي يأخذ اتجاهاً معاكساً للترميز يستخدم الشكل أو الدال ليصل إلى المعنى أو المدلول، في حين ينطلق الترميز الكتابي من المعنى كي يصل إلى الشكل الكتابي.

ويقوم جهاز القراءة بقراءة النصوص المكتوبة، وتحويلها إلى رسالة مسموعة، والأصل في الكتابة أن تكون مطابقة لما سُمِعَ، والقراءة مطابقة لما كُتِبَ، وهكـذا نستطيع أن نفهم ما اعتقده بعض اللغويين من أن حرف الذال الدالة على كل ما له ذيل من الدواب قد سار للوصول إلى ما هو عليه اليوم في اتجاهين الأول نطقي بدأ مقطعياً وانتهى بصوت واحد على لسان ناطقه، والثاني نقشي بدأ مجتزأ من شكل الذيل الطبيعي، وانتهى مشذباً على يد ناقشه(٣٢).

ولما كانت الكتابة هي رمز اللغة، واللغة هي رمز الفكر، فإن اكتشاف الكتابة لم يكن سوى نوع من الإدراك الواعي لعمل الصوت اللغوي، ودوره في التواصل البشري، لذلك ليس غريباً أن يقول أحد علماء اللسانية أن مكتشف الأبجدية كان أول علماء اللسانية وأعظمهم.

الفصل السابع

الرمز المكتوب

وكما اهتدى الإنسان إلى لغته الشفوية بالأصوات التي تصدرها أشياء الطبيعة، اهتدى إلى لغته المكتوبة أيضاً بمختلف الآثار الشكلية والحركية التي تتركها هذه الأشياء.

والكتابة في المعنى اللساني الحديث تعبير عن اللغة المحكية بواسطة إشارات خطية مكتوبة، وذلك لأغراض شتى منها حفظ الكلام الذي يزول فور إلقائه شفوياً أو نقله إلى أماكن بعيدة عن المكان الذي ألقي فيه.

ويتناول اللغويون في أبحاثهم الصوت اللغوي في انتقاله من الشفاهة إلى الكتابة، ومن الآنية الزائلة إلى ديمومة الرمز المكتوب، فبينما تتم عملية الكلام في الزمن، وتزول بمروره تأخذ الكتابة من المكان سنداً يحفظها، وتغدو بذلك نظام تواصل ينتمي إلى الدرجة الثانية من بين أنظمة التواصل اللغوية.

وتظل الكتابة في نظر اللسانيين شكلاً من أشكال التعبير اللغوي لا توجد إلا بوجود الكلام المحكي، وفي معناها العام نظام سيميائي مرئي مكاني أي يرى بالعين، ويحتل حيزاً في المكان*.

وقديماً كان اختراع الكتابة على أنواعها وسيلة وجدها الإنسان لاستبدال القناة الهوائية التي تزول فور زوال التواصل بقنوات أخرى كتابية

(*) هناك من يعتقد أن الكتابة وجدت قبل الكلام المحكي على هيئة تكسير الأغصان عند المرور في طريق ما، ولكن هذا الشكل الكتابي ليس هو المقصود هنا وإنما الكتابة الرامزة للمنطوق من الكلام.

أبـين للعـين وأطـول عمـراً، وقد كان لدراسة مختلف أنماط الكتابة التي استعملهـا البشر في تاريخهم الطويل علاقة وطيدة مع دراسة الكلام المحكي والحضارات التي أوجدتها وطورتها.

ويمكن التمييز بين نمطين عامين من أنماط الكتابة عرفتها البشرية في مختلف حقبـات تاريخهـا، ولايزالان مستعملين حتى اليوم هما الكتابة الـرمزية والكتابة الصوتية، واللذان يتعايشان معاً في هيئة رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس العربية، ووسيلة للتعبير عن منطوق الحرف في لغة الضاد ساكنة كانت أو متحركة.

وتعتمد الكتابة الرمزية تدويناً خطياً لا يرجع إلى اللغة المحكية بل يعتمـد على علاقـة رمـزية مستقلة، وهي تجمع أنظمة كتابية ذات طابع استمراري، وتخاطب النظر واللمس، وتتخذ عدة أشكال منها الترميز أو التمثيل بالأشياء.

ثم نشأت بعد ذلك الكتابة الصوتية نتيجة استحالة تعميم استعمال الـرسم والتصـوير، فكـانت أولاً أسماء العلم، والمفاهيم المجردة بما فيها الإعراب والتصريف، ويبدو أن الأصل التاريخي لهذا النوع من الكتابة يعود جزئياً إلى لغة التواصل بالحركات.

والمبـدأ الأسـاسي للكتابة الصوتية هو أن الإشارة المكتوبة الواحدة ترجع إلى وحدة لغوية ذات معنى هي المفردة المنطوقة، وليس إلى التصويت الذي لا يشترط ارتباط الكلمة بمعناها، وذلك قبل ظهور الحاجة للانتقال إلى مرحلة أعلى من تحلل الكلام إلى مقاطع وأصوات.

كما يبدو أن الكتابتين الهجائية والمقطعية مرتبطتان تاريخياً فقد ظهرت في بادىء الأمر الكتابة المقطعية عند الشعوب العربية في شرق المتوسط ثم كتابة وسيطة هي الكتابة الصوامتية وعلى الأخص عند الفينيقيين إلى أن جاء

الإغريق، وكتبوا جميع الأصوات الصوامت منها والصوائت بشكل منظم، وذلك باستخدام الأحرف الفينيقية الممثلة للصوامت، فشكلوا بذلك أول ألفباء بالمعنى الحصري للكلمة.

ولكن علماء اللغة في العصر الحديث شعروا بوجوب وجود نظام إشارات كتابية دقيق أوفى وأكمل من كتابة الإغريق أنفسهم يدوّن جميع أصوات اللغة، ويعطي لكل صوت إشارة، ولكل إشارة صوتاً، فكان أن وضعوا عدة ألفباءات صوتية كان أهمها الألفباء الصوتي العالمي المتعارف عليه حالياً.

ويجدر بنا استعراض تطور الكتابة منذ وجودها، وحتى ظهور الكتابة العربية بشكلها الحالي، بما يفيد هذا البحث وبشكل موجز، ودون أن يعني ذلك مجاراة لأولئك الذين يعتقدون بأن للحرف علاقة في تقدم الشعوب، لأن التقدم تكمن أسراره في العقل والسلوك، وليس في شكل الحرف المكتوب إطلاقاً.

ففي مرحلة التعبير بالإشارة، كان الإنسان القديم يقوم بوضع علامات وإشارات تدل على حدوث شيء معين، وكان الناس يضعون السيمة على أجسام الحيوانات لمعرفة ممتلكاتهم من خلال الكي أو التلوين بينما كان الأفارقة على سبيل المثال يستعملون النار والدخان والطبول في الإعلان عن بعض الأمور البالغة الأهمية.

وفي مرحلة الكتابة التصويرية، كان الإنسان القديم إذا أراد أن يرسل إلى صديقه رسالة يعلمه فيها أنه ذاهب إلى صيد السمك، فانه يرسل له صورة رجل بيده قصبة في رأسها شص، وهو متجه نحو بحيرة سمك، وقد عاشت هذه الكتابة ردحاً من الزمن بين الجماعات الصيدية الصغيرة كأسلوب بسيط للتخاطب.

أما في مرحلة الكتابة الرمزية، فقد كانت صورة الشمس المنبثق منها النور ترمز إلى النهار، وصورة الرجل ويده في فمه ترمز إلى الجوع أي الكتابة التي تعبر فيها الصورة عن كلمة بعينها، واستمرت إلى أن جاءت بعدها مرحلة الكتابة المقطعية التي عبر فيها الرمز الواحد عن مقطع في الكلمة، وليس عن الكلمة كلها.

وكان الإنسان إذا أراد كتابة كلمة تبدأ بالمقطع يد كما في يُدير ويدخل ويدمر ويدلي الدلو ويدحر، فانه يرسم صورة يدويعتبرها مقطعاًهجائياً لا يراد به نفس اليد، وإنما يعبر عن صوت الياء والدال غير المعروفين بعد، ولكن من الملاحظ أن هذه الأفعال جميعاً يستطيع الإنسان تأديتها باليد فهو يدير الرحى ويدمر البيت ويدلي الدلو ويدحر الأعداء.

وظهرت بعد ذلك الكتابة الأوائلية التي يأخذ الرسم فيها قيمة الصوت الأول من الكلمة الذي يستعمل عند التدوين، وأصبحت صورة الكلب ترمز إلى حرف الكاف، وصورة الغزال ترمز إلى حرف الغين وصورة الطير ترمز إلى حرف الطاء، وانتهى رسم الألف الذي يعني ثوراً بأن يقرأ «آ» وهو الصوت الأول من كلمة ألف الصوتية.

وتمثلت الكتابة الهجائية في الكتابة الصوامتية التي ظهرت بشكلها الفني منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وأصبحت هذه الكتابة الحرفية الهجائية هي الأكثر ملاءمة من غيرها، إذ يتراوح عددها بين عشرين حرفاً وأربعين حرفاً، ولكن لاتزال ملامح الوجه وحركات اليدين من الوسائل المساعدة في تدعيم ما هو منطوق أثناء الحديث، ولازالت الألوان ترمز إلى أمور تتعلق بالحياة العامة فالطير يرمز إلى الحرية، والأسد إلى القوة، والغزال إلى السرعة بالرغم من وجود هذا الطور الهجائي المتطور، ومن بعده

الألفبائي الأكثر تطوراً اللذين اعتمدا الأبجدية الفينيقية أساساً ككتابة ذات أشكـال خطية بسيطة الرسم، سهلة الاستعمال، ولكل حرف فيها اسمه الخاص به.

الكتابة العربية

أخذ العرب حروف كتابتهم من الفينيقية، كما فعل اليونان والشعوب الأخرى التي كانت تعيش بين ظهرانينهم، أو اختلطت بهم بأي شكل من الأشكـال، فأدخلوا عليهـا اصـلاحات عديدة، وطوروها وفقاً لحاجاتهم وميولهم الفنية.

كما اقتبس العرب كغيرهم هذه الحروف مرتبة كما يلي في: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، ثم وجدوا أن في لغتهم أصواتاً ليست في هذه الحـروف فزادوها عليها وهي الأحرف الستة الآتية ثخذ ضظغ فأصبحت الحروف العربية بذلك ثمانية وعشرين حرفاً، وسميت الأحرف المزيدة الستة بالروادف، لأن العرب أردفوها بالحروف الاثنين والعشرين الفينيقية السابقة.

وكانت الكتابة العربية في أول عهدها قبل الإسلام تقسم إلى عدة أنواع من الكتابات لكل نوع منها خصائصه المميزة، ولكن الباحثين يكادون يجمعـون على أن الكتابة العربية المستعملة اليوم تعود إلى الكتابة العربية الشمالية المأخوذة عن الكتابة النبطية.

وتميزت هذه الكتابة بعدة خصائص أهمها:

أ ـ كانت تربط حروف الكلمة الواحدة ببعضها إلا الحروف التي لا ترتبط بالحروف التي تليها كالدال والزاي والذال.

ب ـ كانت تستعمل لبعض الحروف أشكالاً في أول الكلمة تخالف أشكالها إذا جاءت في آخر الكلمة.

ج ـ كانت حروفها خالية من النقط التي تميز الحروف المتشابهة.

ولكن الكتابة العربية اكتفت برسم الصوامت دون الصوائت، شأنها في ذلك شأن معظم الكتابات المتفرعة عن الفينيقية، وظلت الكلمة تقرأ بأوجه مختلفة إذا ما سلخت عن سياقها مثل كتب التي كانت تقرأ كُتِبَ وكُتُبْ وكتاب ومكتوب وكاتب الخ. وكان القارىء يتعرف على المقصود بما عنده من سليقة لغوية، وبما يكتنف السياق الكلامي من قرائن.

وتخلت الكتابة العربية اليوم عن كتابة الصوامت فقط، وأصبحت تدون الصوائت الطويلة «المدود» في جميع الحالات تقريباً، والصوائت القصيرة «الحركات» في بعض الحالات التي تستدعي ذلك، واستخدمت للهمز رأس عين للقرب بينها، وبين العين في المخرج، وللمد ميماً صغيرة مع جزء من الدال من فعل الأمر مد، وللشدة علامة من الفعل شد وما إلى ذلك.

وتستعمل العربية رموزاً كتابية «حروفاً» تنطبق على ما يدعى الألفباء الصوتي العالمي المثالي أو الكامل الذي يُحد بكونه ألفباء يعبر فيه كل رمز عن صوت واحد فقط، ويُعبّر فيه بحرف واحد عن كل صوت، فلا يمزج بين الحروف للتعبير عن الأصوات، كما تفعل اللاتينية وأخواتها في بعض الحالات، ولا تشترك عدة أصوات في حرف واحد، ولكنها لا تملك هذه الخاصية إلا في نظام الأصوات الصامتة.

ومكنت الطريقة الألفبائية من تطوير كل صوت من أصوات اللغة برمز خلق من أجله، فأصبح الرمز المكتوب يعكس صوتاً فرداً، وصارت مجموعة الرموز تعكس كلمات بألفاظها وأصواتها كاملة من غير لبس أو

خلل، وصار بإمكان كل إنسان أن يكتب لغته كما يتكلمها ويسمعها ان شاء ذلك، وأن يقرأ ما كتب غيره من ذوي اللغات الأخرى، وان لم يستطع فهم ذلك، وتوصل الإنسان إلى الألفبائية التي تعتمد الصوت الفرد في معظم كتابات العالم المعاصر، وهي أرقى ما اخترع الإنسان من طرائق كتابية حتى العصر الحاضر.

ويبقى لزاماً علينا نحن أبناء العربية أن نكمل نظام الصوائت بابتكار حروف خاصة بالمدود والحركات نابعة من صميم لغتنا لا إضافتها فقط كما فعل أجدادنا، وخاصة في هذا العصر عصر الآلة والمطبعة الذي يتطلب ايجاد بيت خاص بكل حرف سواء أكان صامتاً أو صائتاً كما أنه يتوجب علينا حل مشكلة الحرف العربي الواحد الذي يتخذ صوراً مختلفة حسب كونه منفصلاً أو متصلاً، أو حسب موقعه في الكلمة انطلاقاً من حقيقة أن الكتابة هي الأصل فيما يُقرأ، وأنها من عداد الصنائع الإنسانية كما يقول ابن خلدون.

الخط العربي

الخط علامات ورسوم تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها، ويجب تصويبه كلما دعت حاجة القراءة إلى ذلك.

وإذا كانت الكتابة الأوغاريتية «١٥٠٠» ق. م قد وصلت إلينا، وهي تكتب الأحرف الصامتة، وتهمل الأحرف الصائتة، وكذلك الفينيقية التي وصلت إلينا، وهي تُكتب بشكل متقطع، ولا تتصل الحروف بعضها ببعض اطلاقاً، فما الذي يمنعنا نحن أبناء العربية من استخدام الكتابة

الصوتية التي تكتب اللغة كما تلفظ تماماً دون زيادة أو نقصان، بالإعتماد على تطور الكتابة في مختلف المراحل والعصور.

أما الحروف الآرامية، فقد كانت تميل إلى التربيع، وكان الخط النبطي يميل إلى الاستدارة، بينما احتلت الحروف العربية النسيجية المقام الأول في الاستعمال فيما بعد لسهولة قراءتها، وعدم اللبس فيها بالرغم من قصورها عن مرتبة الكمال.

وقد سبق اختراع الخط الكوفي الإسلام بقليل، ومنه تم اشتقاق جميع أنواع الخطوط، ومن أشهرها النسخ والفارسي والديواني والرقعي، وكانت كتابة الخط الكوفي مستقلة الحروف فدعت الحاجة إلى اتصالها تسهيلاً لحركة اليد على الرقاع التي كانت تكتب عليها في ذلك العصر.

كما كان لحمير في بلاد اليمن كتابة منفصلة الحروف تسمى المسند، ومن المؤرخين من يرى أنه آشتق من خط الجزم الذي قيل أنه من أصل خط المسند، فحوِّرت رسومه، كما جاء من يقول مؤخراً أن الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة نفسها لأنه ولد من المسند الحميري[٣٤].

ويظل من المرجح أن الحرف العربي هو من فروع الخط الآرامي، وأن الحرف الآرامي كان سبباً في ظهور الكتابة العربية الشمالية، وان أول كتاب عرفه التاريخ باللغة العربية هو القرآن الكريم استجابة لما كان يقوله النبي الكريم «قيدوا القلم بالكتابة».

ويمتاز الحرف العربي في رسمه بمرونة خاصة كانت تفتقر إليها حروف اللغات الأخرى في عصره، لأنه كان يخضع لمعايير علمية في رسمه وتكوينه، ولأنه كان يكتب مباشرة بالقلم على الرقعة، أما الحرف نفسه فهو مقسم في حد ذاته إلى حركات رسمية تختلف عن بعضها في الجر والاستدارة والميول.

والحـرف العـربي دون غيره من الخـطوط كان مطواعـاً عنـد رسم الكلمات، ساعـده في ذلـك قابليته للمد والإستدارة التي أكسبته الحيوية وأبعدته عن الصفة الهندسية المركبة، ومنحته مزيداً من الأناقة.

والكاتب العربي يمكنه، أن يكتب كلمة واحدة في أي طول أراده، كما أنه يستطيع تمديد تلك الكلمة إلى أقصى حد في الصفحة، أو اختصارها وحصرها في جهة واحدة من السطر، ساعده في ذلك الجرة الموجودة في ذيل الحرف، واتصال الحروف مع بعضها بعضاً.

قواعد الخط العربي وضوابطه

في مجرى تطور اليد القابضة عند الإنسان، كان الإبهام المشدود إلى بقية الأصابع الأخرى، فأصبحت هذه اليد التي اكتسبت وظيفة جديدة هي الكتـابة، المفتاح لجميع الأبواب المفضية إلى كل تقدم جديد على صعيد السلوك الإنساني.

وأصبح لمسك القلم قاعدة، ووضعه محبراً على الورقة قاعدة، ولكل حركاته قواعد وأصول، واتخذ العرب النقطة مقياساً وميزاناً للحرف الذي به يكتبون، ومن ثم الخط المستقيم الذي لا تتغير استقامته مهما تعددت اتجاهاته، والخط المنحني الذي لا يتخذ اتجاهاً مستقيماً.

واختـار العـرب للألف الشكل المتصب غير المائل إلى انكباب أو استلقاء قاعدة لباقي الحروف العربية، وجعلوا هذا الشكل قطراً لدائرة، وبقية الحروف أجزاء من الدائرة المحيطة بهذا القطر، منسوبة إليه، فالباء مثلاً تتكون من قائم ومنبسط طولها معاً كطول الألف، والجيم تتكون من خط مائـل ونصف دائـرة قطرها بطول الألف، والدال تتكون من خطين

الأول مائل، والثاني على مستوى التسطيح طولهما معاً بطول الألف، والراء قوس هو ربع الدائرة والألف قطرها وهكذا[٣٥].

وحددوا أفضل النسب، وهي ما كانت فيه عرض الألف إلى طولها بمقدار الثِمْن، وهذه النسبة هي النسبة الجمالية في تركيب جسم الإنسان، واستعملوا الهامة للألف واللام، ويقصدون بها أعلاها.

وهناك حروف عربية منتصبة إلى أعلى هي الألف واللام والكاف والطاء والظاء، وحروف تجر إلى أسفل عند وقوعها في آخر الكلمة هي الجيم والحاء والخاء والميم والنون والصاد والضاد والسين والشين والعين والغين والقاف والياء، وحروف ثابتة على السطر هي الباء والتاء والثاء والدال والذال.

وفي تشابه تعريقة حروف النون والقاف واللام والياء والسين والصاد وغيرها، امكانية في اتاحة الفرصة أمام الخطاط لتشكيل لوحة تحتوي مفرداتها على العديد من هذه الحروف.

وبما أن حروف الهجاء العربية تحتوي على فصائل من الأحرف تتحد في الوضع، فقد تركت فراغات عند الكتابة، تشكل في عمومها نسبة تتراوح بين الثلث والنصف من المساحة التي تشغلها الكتابة كلها[٣٦].

وللحفاظ على توازن الحروف وتناسقها وضع قدماء الخطاطين قواعد وأسساً لهندسة الحرف العربي من حيث الأطوال والامتداد والأبعاد والفراغات قاسوها كلها بالنقطة، والفراغ بين الكلمة والكلمة في الكتابة.

وهندس ابن مقلة الحرف، ووضع له قواعد وضوابط، وقيد كل الحروف في شكل دائري، تمثل الألف قطر تلك الدائرة، وتشكل بقية الحروف أقواساً فيها هي:

١ ـ الألف مركب من خط منتصب مستقيماً غير مائل، وليس مناسباً

لحرف في طول ولا قصر.

٢ ـ الباء: مركب من خطين منتصب ومنسطح، ونسبته إلى الألف بالمساواة.

٣ ـ الجيم: مركب من خطين منكب ومنسطح مجموعهما مساو للألف.

٤ ـ الراء: مركب من مقوس هو ربع الدائرة، وفي رأسه سنة مقدرة في الفكر.

٥ ـ السين: مركب من خمسة خطوط منتصب ومقوس، ومنتصب مقوس، ومنتصب ثم مقوس.

٦ ـ الصاد: مركب من ثلاثة خطوط أو أربعة مستلق ومنتصب ومقوسين.

٧ ـ العين: مركب من خطين مقوس ومتسطح إحداهما نصف دائرة.

٨ ـ الفاء: مركب من أربعة خطوط منكب ومستلق ومنتصب ومنسطح.

٩ ـ القاف: مركب من ثلاثة خطوط منكب ومستلق ومقوس.

١٠ ـ الكاف: مركب من أربعة خطوط منكب ومنسطح ومنتصب ومتسطح.

١١ ـ اللام: مركب من خطين منتصب ومتسطح.

١٢ ـ الميم: مركب من أربعة خطوط منكب ومستلق ومنسطح ومقوس.

١٣ ـ النون: مركب من خط مقوس هو نصف الدائرة، وفيه سنة مقدرة في الفكر.

١٤ ـ الهاء: مركب من ثلاثة خطوط منكب ومنتصب ومقوس.

١٥ ـ الواو: مركب من ثلاثة خطوط مستلق ومنكب ومقوس.
١٦ ـ الياء: مركب من أربعة خطوط مستلق ومنتصب ومنكب ومقوس.

وتقاس الفراغات والأبعاد بالنقط، والنقطة تعد بمثابة وحدة قياس توضع حول الحرف لتقدير مسافاته وطوله وامتداده وتجويفاته، وعن طريقة استعمال القلم يقول ابن مقلة يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام على القلم.

ويضيف ابن مقلة قائلاً: «ويكون إمساك القلم فوق الفتحة مقدار عرض شعيرتين أو ثلاث، وتكون أطراف الأصابع متساوية حول القلم لا تنفصل إحداهن عن الأخرى».

ويشرح ذلك ابن العفيف بالقول «يجب أن تكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة، لأن بسط الأصابع يمكّن الكاتب من إدارة القلم، ولا يتكىء على القلم الإتكاء الشديد المضعف له، والاتكاء يكون على الخنصر والوسطى من الأسفل والسبابة من اليمين، والإبهام في دوران وتحريك القلم.

ومن المهم الإشارة بهذا الصدد إلى أن هذا الوصف قد لا ينطبق تمام المطابقة على الكتابة بالأقلام الحديثة بسبب التكنيك الذي دخل تصميمها لغايات بعضها تجاري، وبعضها هندسي يناسب الخط اللاتيني، ولكن هذا يمكن أن يكون منطلقاً لوضع القواعد والأسس التي تمكننا من استخدام هذا القلم بالشكل الذي يناسب حروفنا العربية في تجاوز الرداءة الموجودة بكثرة في كتابتنا اليدوية وإن كان ذلك متفاوتاً بين شخص وآخر.

ومنذ نشأة الكتابة بالحروف الأبجدية، والإنسان يبحث عن الرقاع المناسبة للكتابة والتدوين، وتم الإتفاق على استخدام «البنط» كوحدة قياس

لجسم الحرف على الورق، وهي تعني في الأساس نقطة أو رأس القلم الذي كتب به الحرف في البداية.

ويتغير شكل الحرف العربي وفقاً لموضعه في الكلمة، فنجده تارة صغيراً مختصراً، وأخرى مذنباً أو ممدوداً على السطر بسخاء، ومن الناحية النظرية هناك أربعة أشكال يمكن لكل حرف أن يتخذها، وهي تمثل المواقع الأربعة التي يمكن أن يقع فيها الحرف في الكلمة وهي:

١ ـ شكل الحرف عندما يكون في أول الكلمة يـ
٢ ـ شكل الحرف عندما يكون في وسط الكلمة ـيـ
٣ ـ شكل الحرف عندما يكون متصلاً في آخر الكلمة ـي
٤ ـ شكل الحرف عندما يكون منفصلاً في آخر الكلمة ي.

وهناك أحرف كالألف والواو والدال وما شابهها يكون لها نظرياً شكلان فقط من حيث المبدأ، ولكن لا يتغير بعضها أيضاً حسب وقوعها بجانب غيرها من الحروف في الكثير من الأحايين، فلو أخذنا حرف الميم مثلاً لوجدنا لهذا الحرف قرابة الثمانين شكلاً مستقلاً أو مجموعاً بأحرف أخرى، ومثل هذا الوضع يسيىء إلى الكتابة إساءة بالغة كمفهوم.

ومنذ البداية اعتمد الطباعون الخط النسخي الذي يمتاز بثباته الدائم على السطر، وسهولة تركيب حروفه، وكونه من المشتقات المباشرة للخط الكوفي أصل الكتابة العربية، ولكن الخطاط العربي ظل يشكل حروفه بشيء من الاستمرارية والاتصال فيعطي لكل تركيبة حقها من الأناقة والتناسق.

واهتم الأوربيون بالحرف العربي، وقام النمساوي «برن هاردفون برايدباخ» باستنباط حروف عربية ظهرت للوجود سنة «١٤٨٩» بمدينة ليون الفرنسية انتشرت بعدها الكتب العربية بين الأوساط الأوربية.

وأول كتـاب عربي ظهر إلى الوجود بواسطة الطباعة هو ذاك الذي انتجته تلك المطبعة، وهو كتاب تحت عنوان «الأورلوجيون» المعروف بكتاب السواعية الذي يحتوي صلاة الساعات في الكنائس المسيحية البيزنطية[٣٧].

وفي ظهور الحرف على الشاشة، ساعد التعاقب في المربعات السوداء والبيضـاء في ترجمة صور الحرف إلى اهتزازات وتسجيلها بطريقة تلقائية، ويعـطي لكل مربع أسود قيمة ايجابية، ويعطي لكل مربع أبيض قيمة سلبية، أما المفتاح في العقل الآلي فهو تلك اللغة الثنائية صفر أو واحد، والتي تعني مفتوح أو مغلق وهكذا.

ويبدو مع مرور الوقت أن التقنيات الحديثة، هي التي تفرض علينا تطور الحرف العربي بالشكل الذي يريد مصنعوها الأجانب، دون أن يكون لأبناء العربية أي دور إلا دور المتلقي والمستهلك، مما جعلنا نشعر بغربة حقيقية مع حرفنا العربي الأصيل وهو يظهر على الشاشة الالكترونية.

الفصل الثامن

الرمز المقروء

لما نُسخت المصاحف العثمانية خالية من الشكل والنقط، احتملت عدداً من القراءات، فأتى أبو الأسود الدؤلي بعد ذلك بالنقط لتيسير قراءة القرآن على الناس، وانبثق عقب ذلك علمان عربيان قرآنيان في ذلك العصر الأول: علم التجويد الذي كان بمثابة التطبيق الصوتي لأحكام القراءة، والثاني: علم الرسم والضبط الذي كان التطبيق الكتابي لهذه القراءة مثل وضع الصفر المستدير فوق حروف العلة دلالة على زيادتها فلا ينطق بها في الوصل والوقف*.

وعلم القراءات أساسه السماع والمشافهة الذي يهتم بأداء النطق العربي، وقد انبثق عنه فن التجويد الذي يعني إعطاء كل حرف حقه بقصد صون اللسان عن الخطأ، والقراءة بتؤدة، ولأن تحسين القراءة بالصوت يسهل على السامع فهم المعنى وتذوقه، وإدراك جمال الألفاظ والأسلوب مع مراعاة المد والتشديد والقطع والوصل والغنة بالقراءة غير السريعة وغير العجولة بل المفسرة حرفاً حرفاً.

والعلاقة بين الوحدة الصوتية المميزة، وتنوعاتها الصوتية لحظها علماء التجويد بقولهم «إعطاء الحروف حقها ومستحقها» وقصدوا بحقها الخصائص الذاتية ومظاهرها المميزة في الجهر والهمس والإطباق والانفتاح، كما قصدوا بمستحقها الأحوال العارضة للحرف كالإظهار والإخفاء والتنغيم الذي يترجم حال المتكلم من غضب أو دهشة أو رغبة.

(٣٨) نقط أبي الأسود الدؤلي تعني الحركات.

وليس هناك ما يضير في تكرار الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها، كما وردت على لسان علماء التجويد والقراءة بعبارات بسيطة ابتغاء الإيضاح في هذا الموضوع الذي عاشوه بالتجربة وخبروه بالتطبيق قروناً عديدة.

فالوقف عندهم قطع الصوت عن الكلمة زمناً للتنفس، وسببه أن القارىء لا يمكنه قراءة السورة في نَفَسٍ واحدة، وأنه ينبغي اختيار وقت للتنفس لا يخل بالمعنى، والوقف قبيح عندهم على المضاف دون المضاف إليه، وعلى الرافع دون مرفوعه، وعلى الناصب دون منصوبه، وعلى الشرط دون جوابه، وعلى الموصول دون صلته، وعلى المعطوف دون المعطوف عليه، وفي وسط الكلمة وفيما اتصل رسماً.

وحذروا أيضاً من الوقف بكل الحركة بل الوقف مع الإسكان المحض، أو مع الإشمام، لأن الغرض من الوقف الاستراحة، وسلب الحركة أبلغ في تحصيلها، أما السكت عندهم فهو قطع الكلمة من غير تنفس بنية القراءة، أما في حالة الابتداء، فدعوا كي يكون بالحركة لأن الحرف الأول إما أن يكون متحركاً أو ساكناً، فان كان متحركاً فظاهر، وإن كان ساكناً فهو يحتاج إلى همزة وصل يتم بها التوصل إلى النطق بهذا الساكن الابتدائي[٣٩].

ورأوا أن التفخيم هو عبارة عن تسمين الحرف والترقيق عبارة عن انحافه، والإدغام إيصال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة، وهو يوزن حرفين، واستنكروا ترقيق المنخفض وتضخيم المستعلي ونحوهما، ودعوا إلى رد كل حرف إلى مخرجه، كي تكون القراءة صحيحة مفهومة، إلا إذا كان الجوار هو الذي يفرض تفخيم المرقق وترقيق المفخم كي تظل القراءة على المناسبة والمساواة.

ويمكن أن نكتفي فقط باستخدام المرادفات والأضداد التي حددناها عنـد الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها في القسم السابق للتأكيد على الفروقات الصوتية، لأن اللغة هي عماد أداة الاتصال بين البشر وقوامها، سواء أكانت هذه اللغة مكتوبة أو مقروءة.

كما يتوجب علينا التحكم بالصوت عند القراءة من حيث اختلاف السرعة، ومواضع السكنات والوقفات، وحـالات النبر والتشديد وإيحاءات الجرس بشكل طبيعي، والقراءة بصوت حازم وجذاب في آن معاً على أن لا يتجاوز الحزم حدوده، فينقلب إلى نوع من الخشونة، بشرط أن يترافق ذلك مع سلاسة الصوت وانسيابه[٤٠].

وهناك من يرى أن للوحدة الصوتية المميزة حقيقة نفسية، يحتفظ ابن اللغة في ذهنه بصور لأصوات لغته، وهو عندما يعيد نطقه لصوت ما، إنما يحاول نطق الصوت بتقليد الصورة العقلية والانطباع النفسي الذي يحمله عن ذلك الصوت، ولكنه لا يستطيع الجزم بأنه أداه الأداء الأول نفسه.

وتعـد المعـرفـة العميقة للمادة اللغوية شرطاً أولياً من شروط نجاح الحديث الشفهي، وكان الكاتب الروسي الشهير «مكسيم غوركي» يرى أن الجهـل اللغـوي في مجال الابـداع الشفهي الكلامي يعد دليلاً على تدني الثقـافة، ويرافقه دائماً الجهل الفكري، وان العناصر اللغوية هي اللفظ الصحيح، والاستخدام السليم للكلمات[٤١].

ولما كان الكلام المكتوب يسمح باستعمال بنى وصيغ صعبة ومعقدة، فانه يتوجب علينا عند القراءة جهراً الابتعاد عن مثل هذه اللغة المكتوبة، والاقتراب ما أمكن من لغة المشافهة بما فيها من تعابير، وما لها من بنى وصيغ عربية فصيحة هي الأخرى، وتبعده كل البعد عن اللهجات العامية التي

بدأ يسوّغها، ويبررها من لا يفهم اللغة على حقيقتها، ولا يدرك كنه جوهرها، ومدى خطورتها، كما سنرى عند الحديث عن علم القراءة.

علم القراءة

لقد حرصت الأمم على اختيار التصميم الأفضل لحروف كتابتها منذ بداية انتشار الطباعة، والاهتمام بالمطبوعات من خلال العمل على التوافق بين قيمة الحرف الشكلية، والتركيز على مدى سرعة عين القارىء لاستيعابها بقصد خلق أجيال من القراء.

والعين هي الوسيلة الوحيدة التي تسبق غيرها في التعامل مع الأشياء المنظورة، فهي تلتقط صور تلك الأشكال، وبواسطتها ننتقل إلى فهم معانيها، واستيعاب مضامينها، لذلك دعت الحاجة إلى الاعتناء بالحروف وتصاميمها، وانسجامها مع بعضها بعضاً، وسهولة قراءتها.

وأوضح التصاميم بالنسبة للعين هو أسهلها للقراءة، وان سهولة القراءة توفر الكثير من وقت القارىء، وتخفف العبء والجهد عن عينيه، والمطلوب في كتابتنا العربية توضيح رؤوس حروفها، وتبيان اختلافها من خلال التكبير، لا في انشغال القارىء بجمالها وأناقتها.

ويتم تركيز العين أثناء قراءة الكتابة العربية على المحور فقط، أي السطر الذي تتم عليه امتدادات الحروف، وان سير العين في هذا المستوى الأفقي الدائم يتيح لها ملاحظة أو رؤية الأحرف المرتفعة أو المنخفضة بسهولة تامة، ولكن الأحرف المائلة لا تُقرأ بالسهولة التي تقرأ بها الأحرف المستقيمة، والأحرف المعتدلة السماكة أسهل في التمييز من غيرها، والحرف

الأبيض يحتاج إلى تدقيق أكثر من العين لتمييزه عن الحرف الأسود الغليظ القلم.

وتقسم الحروف الهجائية العربية إلى خمسة فصائل من حيث الأوضاع والأطوال هي المنتصبة إلى أعلى مثل الألف والكاف والطاء والظاء واللام والمجرورة إلى أسفل في حال وقوعها آخراً وهي الجيم والحاء والخاء والميم والنون والصاد والضاد والعين والغين والقاف والسين والشين والياء والمجرورة إلى أسفل مهما تغير موقعها في الكلمة وهي الواو والراء والزاي والمثبتة على السطر وهي الباء والتاء والثاء والدال والذال والفاء والهاء واللام التي تجاري الفصائل الثلاث الأولى.

واللغة هي المرآة التي تعكس في جرس ألفاظها، ونغمات تعابيرها وطريقة أدائها خصائص المتكلمين بها وصفاتهم، وملامح شخصيتهم، ومعالم تفكيرهم وعقليتهم، وسمات طبائعهم وعاداتهم وأخلاقهم، وأنه تم من خلال هذه الصفات الوصول إلى حرف الفاصلة وحرف النقطتين، وحرف نقطة الاستفهام، وعلامة المربع الأبيض الذي يوضع بين الكلمة والكلمة والعلامات الأخرى التي تقرب الشكل المكتوب من الشكل المنطوق.

ولما كانت اللغة هي وسيلة الاتصال الطبيعية، وأداة التعبير الأساسية فقد نجح خبراء المعلوماتية في نقل اللغة إلى المعالجة الآلية وهم يعملون الآن على دمج فرعين من فروع التكنولوجيا الحديثة، هما في الواقع منفصلان تماماً عن بعضهما: هما الصوت والكتابة، ووضعهما معاً في بطاقات مصنوعة من رقاق اللادن الصغيرة تُثبّت في العديد من أصناف العقول الآلية، وبذلك تكون تلك الأجهزة قادرة على الحديث مع الإنسان، والرد على كل تساؤلاته، وتحويل كلامه إلى مادة مكتوبة.

فقد يخطىء الإنسان في لمس المفاتيح المتلاصقة في الجهاز الآلي ولكن لسانه ينطق بالكلمات دون الخلط بين حروفها، لذلك فكلما كان نطق الكلمات سليماً كان النص المكتوب آلياً سليماً أيضاً، وخالياً من الأخطاء، وبكلام آخر فإن الإنسان إذا تلا موضوعاً ما بصوته لا يستغرق الوقت الطويل الذي تتطلبه الكتابة يدوياً أو آلياً، وسيكون التعامل مع الآلة مستقبلاً بواسطة الصوت فقط مادام الجهاز قادراً على الفهم والسمع والكلام[٤٢].

وتحوي اللغة العربية العديد من الحروف التي تتشابه في النطق ولو جزئياً مثل الظاء والضاد والذال والسين والصاد والتاء والطاء وأحياناً حروف القاف والكاف والغين والخاء والتاء والدال فكلمة ظلال هي غير كلمة ضلال، وكلاهما يختلف عن كلمة ذلال، وكلمة سورة هي غير كلمة صورة، وكلمة تيار هي غير كلمة طيار، أضف إلى ذلك الحركات الإعرابية التي تغير أحياناً من رسم الكلمات بينما يبقى نطقها كما هو.

وبالرغم من كل ذلك فإن اللغة العربية تملك إمكانيات خارقة للتعبير عن أدق الأمور وأعقدها، وهي قادرة على الرقي إلى مصاف علمي أكثر تقدماً، لأن الكلمة فيها لا تحتمل إلا صورة واحدة من صور الأداء.

ولكن إذا كانت الخلايا العصبية التي يتألف منها الدماغ البشري تتكون من وحدات ذكية قادرة على إحراز المعرفة، والاحتفاظ بها، والتعلم والفهم وحل المشكلات عن طريق التجربة، والاستجابة لجميع المؤثرات والمتغيرات المحيطة بها، فإن وحدات الترانزستور الجامدة الموضوعة في تلك الآلات التي أصبحت تنقل الكتابة اليدوية عبر الخطوط الهاتفية أو ما شابهها لا تتأثر بهذه الأمور كلها، ومن هنا يجب أن تخضع الكتابة اليدوية هي الأخرى لمعايير القراءة، وإعطاء الحرف حقه في الرسم والتكوين، وعلاقاته

مع الأحرف الأخرى في الكلمة الواحدة، أو في الكلمات المتجاورة، لأن ذلك يسهل علينا سبل الاتصال والتوصيل، وكي لا ترتفع مثل تلك الدعوات التي انطلقت في السابق مع كل انجاز حضاري تتعامل معه اللغة للقول: دعونا نحل مشكلات لغتنا وعيوبها، إلى حد الوصول ببعضهم إلى تغيير حروفنا واستبدالها بأحرف لا تمت إلى لغتنا ولا إلى حضارتنا بصلة، وتلك العيوب والمشكلات التي أدعوها أثبت التاريخ والعلم أنها عيوبنا نحن أبناء العربية، ومشكلاتنا، وليست مشكلات لغتنا أو عيوبها في أغلب الأحيان، ومادام الأمر كذلك فعلينا مسايرة التطور الحضاري لأجهزة الاتصال بالمزيد من البحث والتنقيب عن أسرار لغتنا العظيمة الكامنة في نسيج بنيتها الحضاري الذي يساير كل تطور، والمستجيب لكل تطوير.

خلاصة

جرى البحث خلال أقسام الكتاب عن الحرف كوحدة مستقلة المعنى والمبنى، في محاولـة لتحـديد بطاقة لكل حرف من حروف العربية، تبيّن شخصيته: هويةً ووظيفة في أساس بناء اللغة المتراكم.

وترافقت تلك المحاولة في دمج فروع يبحثها العلم الحديث منفصلة كي يقف على الحقـائق الجـزئية المتعلقة بعلم الصوت الدلالي والسمعي والنطقي وما يتصل به كعلمي الكتابة والقراءة بالإضافة إلى ما رأيت أنه يفيد هذا البحث من علوم أخرى. كعلم اللغة العضوي والبيولوجي والنفسي.

وكي لا تبقى هذه العلوم على أهميتهـا حكـراً على عدد محدود من الباحثين، اخترت تقديمها في هذا البحث المتكامل بقصد إفادة القارىء، والاستفادة منها في الجانب اللغوي من حياته.

وقد عدلت عن تحديد بطاقة نهائية لكل حرف أحدد فيها اسمه ورمزه وصفته وطريقة أدائه ومُخرجه لما في ذلك صعوبة هي أكبر بكثير من جهد فرد بنفسـه، وتحتـاج إلى علماء وبـاحثين في مجالات عديدة رياضية وفيزيائية وبيولوجية ولغوية بالإضافة إلى أجهزة قياس وضبط حديثة.

واكتفيت بتقـديم ملامـح عما يمكن أن تكـون عليه تلك البطاقة وتـركت لأهل اللغة وعلمائها والهيئات العلمية التي تتولى الإشراف عليها السعي من أجل تقديم تلك البطاقة النهائية المتفق عليها في جميع ديار العروبة.

وحـرصت على تقـديم تلك الملامح التي تبين أن اللغة كائن حي يعيش بين ظهرانينا، مستجمعاً الماضي في صورة أصوات وحروف ومعبراً عن الحـاضر فيما بقي من تلك المـاضي العريق، ومستكشفاً للمستقبل إذا ما حرصنا على هذا الكائن «اللغة» حرصنا على وجودنا وبقائنا.

فالألف الأليفـة في المعنى هي الـواحـد من كل شيء، وقد تكون مأخوذة من صوت الثور الهاتف الشديد الخارج من صدره فيما يشبه الشهقة والعبرة، وهي مرسومة على شكل السيف في كتابتنا العربية.

وهي من حروف الاستقبال والاستفهام والنداء ويتضح معناها في: أخ ـ سعل، وأبّ ـ اشتاق، أف ـ تأفف، وأل ـ أسرع، وألف ـ أحب، وأم ـ قصد، والايل الاله في سموه وعلوه وكمال أوصافه من حيث الاستقامة والاتزان والاعتدال.

والهاء الهامسة:

بياض في وجه الظبي تتجلى في التأوه وتنفس المجد أو المنادي، وقد تكون مأخوذة من شكل الهامة المعصوبة بعمامة على شكل دائرتين متداخلتين.

ومن وظائفها الزيادة والابدال والخفاء في اللفظ، ونجد معناها في هاء ـ خذ، وهأهأ ـ قهقه، والهب للريح، والهف هبوب الريح الخفيفة وهه هه ـ الوعيد والهز التحريك والهرولة الركض الخفيف أو أول الركض.

والحاء الحاسة:

من لفظ الحس الذي يحتوي الشيء المحسوس، ومن أبرز صفاتها الاحتكاك الحادث في الحلق عند النحنحة أما رمزها فقد يكون من شكل الحربة المقبوض عليها باليد.

وهي من الحـروف الأصـول المـوجـودة في الحب ـ الود، والحج ـ

القصد، والحد الحاجز بين الشيئين والحش ـ القطع، والحق ـ الوجوب، والحك ـ القشر، والحل ـ الفك، والحرور الريح الحارة.

والعين العنعانة:

وهي موجودة في العنين الطبيعي للمريض، وفي جنات عدن السهلة الخصبة التي تجري فيها الينابيع والعيون العذبة المياه، وهي صوت فطري مؤاخية للألف المأخوذة من شكل العين باتفاق الباحثين.

والخاء الخافية:

موجودة في خشخشة نبات الخشخاش، وصوت السلاح والخارجة من اقتراب اللسان نحو الحنك الرخو ليحدث فيها يشبه شخير النائم، وقد يكون رسمها مأخوذاً من خرير الجمل.

والغين الغناء:

مسموعة في الغليان، واضحة في غرغرة الماء في الحلق، وفي غنة الرضيع ما بين مخرج الزفير من الأنف ومخرجه من الفم، والغط غطيط النائم في نومه، وهي من الحروف الأصول المردودة إلى أصل الكلام حين تكون الأصوات الإنسانية غير واضحة.

والقاف القلقة:

مأخوذة من اشتداد الضحك واضطرابه، ومن أبرز صفاتها الشدة والقلقلة التي تعني حدوث صوت يشبه النبرة عند الوقف على نطقها، وقد تكون مأخوذة من شكل القمر أو القطع أو القمقم تلك الجرار الضخمة التي كانت مستخدمة في غلي الماء الكثير.

والكاف الكافة:

من شكل الكف المجموعة، والكتابة التي تعني في الأصل الجمع بين الشيئين والكينونة السكون والاستقرار، وكبة القمح المجروش، والكلل

الصدر من كل شيء، وعندما أدرك الإنسان صوت الماء في حلقه عمد إلى تشقيقه وتشريحه فكانت لفظة كرع.

والشين الشجرية:

المتفشية في مخرجها لانتشار الهواء المزفور بين اللسان والحنك ورمزها من شكل أشعة الشمس التي تشبه الشقوق عند الشعشعة، ونراها في تضاد الصورتين الموجودتين في شعشع النور إذا تطاير، وفي عشش الطير إذا ابتنى عشاً من سوق النبات.

والجيم الجليلة:

مسموعة في أصوات الجمال إذا اجتمعت والجلجلة الحركة العظيمة الحادثة عن صوت حاد يختلط بقرقعة الرطوبة الشديدة اللزوجة، وهي من الحروف الأصول في الجلبة والجرجرة والجوف البطن والجن الاختفاء والنج ـ الظهور وتجلجل في الأرض ساخ فيها ودخل.

الياء اليابسة:

وهي من شكل اليد المرفوعة لمناسبة النداء بصوت النداء «يا»، ومن صفاتها الانخفاض واللين لعدم تكلف اللسان بها عند النطق، وهي مدركة في اليأس ـ انقطاع الأمل واليافوخ ـ الجزء المتحرك من رأس الطفل، ومن وظائفها اللين والمد والاستقبال والإبدال.

والنون الأنيسة:

تثير في النفس مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، ومعناها كما يقول العلايلي للتعبير عن البطون في الأشياء أو كما يقول الأستاذ زكي الأرسوزي للتعبير عن الصميمية، وهي حرف انثوي رقيق أنيق موجودة في الناي آلة الصوت وفي الألم العميق أن أنيناً، وهي نونة الذقن أو عين الحوت ومن صفاتها الإبدال والزيادة والغنة والنهر جريان والرهن احتباس.

واللام اللامة:

أي الجامعة، ومن أبرز صفاتها خروجها من جانب اللسان ورمزها من شكل اللاوي الملوي الرأس، وهي من حروف الزيادة واللز التحام، والزل ابتعاد، واللم ضد المل، والملال هو الإعراض عن الشيء ونعبر عن جماعة النحل بالملة وعن جماعة الناس باللمة.

الراء الربرابة:

من أبرز صفاتها الربربة أي التحريك، وسطح اللسان شديد الاهتزاز عند النطق بها، وهي من شكل الرأس، والرن رفع صوته بالبكاء، ورب البيت أي سيده، والرب هو سيد الكون، وهي من الحروف الأصول التي تضخم الألف بعدها، وفر كافية لإدراك الصوت الطبيعي للرفرفة المتضادة معها.

التاء التليدة:

التراب اللين، والبقرة الحلوب التي يتكتل اللسان باتجاه الأمام للنطق بها، وهي شكل التقاطع في الأساس، وتأتي للمستقبل والماضي والتأنيث وللزيادة والبدل والقسم، ونلحظها في الترترة، كثرة الكلام، والتعتعة: التردد فيه، وفي تف الوسخ ويصقه وطرحه خارجاً.

والطاء الطنينية:

من الطأطأة انخفاض الرأس، وهي طرية لانتاجها من الحنك اللين، ومن الأصوات الفخمة التي تبدل بالتاء، وهي من شكل الطاقة في جدار أو حاجز، ومن الطبع حين تكون الأشياء جارية مجراها المعتاد المألوف، بينما يكون المعبوط على غير طبيعته، ونسمعها في الطن صوت الذباب، وصوت العطس والطوح السقوط والهدم والحوط الارتفاع والبناء.

والدال الدالة:

الملحوظة في دبدبة الطفل وهو يمشي على يديه، والهادية إلى الأمر، وصورة البـاب الدال على البيت، والدلو المتدلية إلى أسفل، والدق على الدف الرقيق أو غيره.

ومن صفـاتها الشدة حيث يسير شد الحبل من التراخي الموجود في الشين إلى الانعقاد الموجود في الدال أما في دشن فإن الحركة تخرج من اشتداد الدال إلى تفشي الشين وانتشارها وتفرقها.

والضاد الضجيجية:

هي النظير المفخم للدال، ومن الضفف الازدحام، وهي المستطيلة على الفم حتى اتصلت بمخـرج الـلام، والمحتكة في اطباق، أما الحصا الـرضراض فهـو الـذي يحمله المـاء في اندفاعه، والمرض خمود وضعف، والضرم قوة واشتعال، ومن يعارضك في موقف ضد من يضارعك فيه أي يشابهك.

والسين السلسة:

موجودة في سأسأة الإبل وزجرها، وفي السوس الذي تحتوي جذوره على مادة سكـرية يعمـل منهـا شراب مفيد للسعـال ومن أبـرز صفـاتها السلاسة، وسكون الحبلين الصوتيين عند انتاجها، وهي أصل السن، ومن وظـائفها الزيادة، ومن معانيها الابساس بالشفتين دون اللسان في صورة الصويت الذي تسكّن به الناقة عند الحلب.

والصاد الصفيرية:

مسموعة في صوت الصرصور ليلاً، وفي صلصلة قدور النحاس وفي صليل السيوف، وهي من شكل الصدر الصندوقي، أما الصح فمعناها الأرض المستـوية والصك هو الضرب الشديد، ومنه اصطكاك الأسنان،

والصفر معناه النحاس في البابلية والآشورية.

والزاي الزهزاهة:

موجودة في نبات الزوفا الدقيق الساق الذي يستعمل لشفاء الحكة والبلغم[٤٣].

ومأخوذة من هيئة شكل الزمر، ومسموعة في الزعزعة: الحركة الشديدة، وفي زخ المطر أي انهماره بقوة، وفي الزل السقوط والزم الربط والشد، ويكاد الاهتزاز الذي يقع في الزاي أن يكون تكريراً كالتكرار الواقع في الراء، إلا أن الذي يقع في الراء يكون من ارتعاد سطح اللسان في الطول بينما في الزاي يكون في العرض.

الثاء الثرية:

وهي اللثوية المنطوقة من بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، ومن شكل الثاية أي حجارة الموقد الثلاثة، ومن الثغثغة أي الخلط في الكلام، والثراء كثرة المال والثغاء صوت الغنم، وصورة الثائر ضد صورة المستريح على الفراش الوثير، والثفن انتفاخ، ودم نفيث هو الذي نفثه العرق أي رمى به.

الذال الذبذابة:

وهي التي يذب بها الذيل الذباب عن جسم صاحبه بالتحريك، والمتذبذب المتردد بين أمرين، وتذبذب الشيء تحرك واهتز، وهي من شكل الذيل لكل ذي ذنب، والذحذحة هي مقاربة الخطو في المشي، والذيف السم القاتل والذؤابة مقدمة شعر الرأس المضفور.

والظاء الظليلة:

هي ثدي المرأة إذا تثنت، ومن ظلال السحاب وغيره والظل ضوء الشمس دون الشعاع، وقد تكون من شكل الظهر ضد الصدر، وهي من

حروف التفخيم التي اتحدت مع الضاد في الجهر والإطباق، وتقاربت في المخرج مع الذال مثل ذل ـ ظل، وحظ ـ حض ، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، ومكـان ظليل دائم الظل، والظران قطع الصوان المصنوعة في الأزمنة القديمة على شكل حراب ونصال وفؤوس.

الفاء الفوارة:

هي المسمـوعـة في صوت طيران جماعة الطيور التي تنبهت فجأة، والفوارة العين الأرضية المتدفقة المياه إلى أعلى، والفح النفخ في النـوم ، والفم ما ينفتح للتكلم والفاء زبد البحر، وقد تكون من شكل الفم عند نطقها، ونحن نسمع الفاء في الفرفرة والرفرفة والحفحفة ، وهي من الحروف الشفوية لخروجها من بين الشفتين.

والباء البرانية:

وهي من بأبأ الرجل إذا أسرع ، ومن بؤبؤ العين ومن البت القطع ، ويقـال بأن كلمـة أب متطورة عن صوت طبيعي يطلقه الإنسان في حال الدفاع أو الهجوم.

ومن صفـاتهـا الشـدة الناتجة عن انضغاط الهواء عند الشفتين ثم انـدفـاعه فجأة، عندما تنفرجان، وهي ملحوظة في البيت المسكن والبر الإحسان، والبس سوق الإبل، والبط الشق، والبيئة المنزل والمحيط والباب المـدخـل والبم أغلظ أصـوات العود ومن وظائفها: الإلصاق والاستعانة والتعدية، والزيادة والبدل.

والميم المائية:

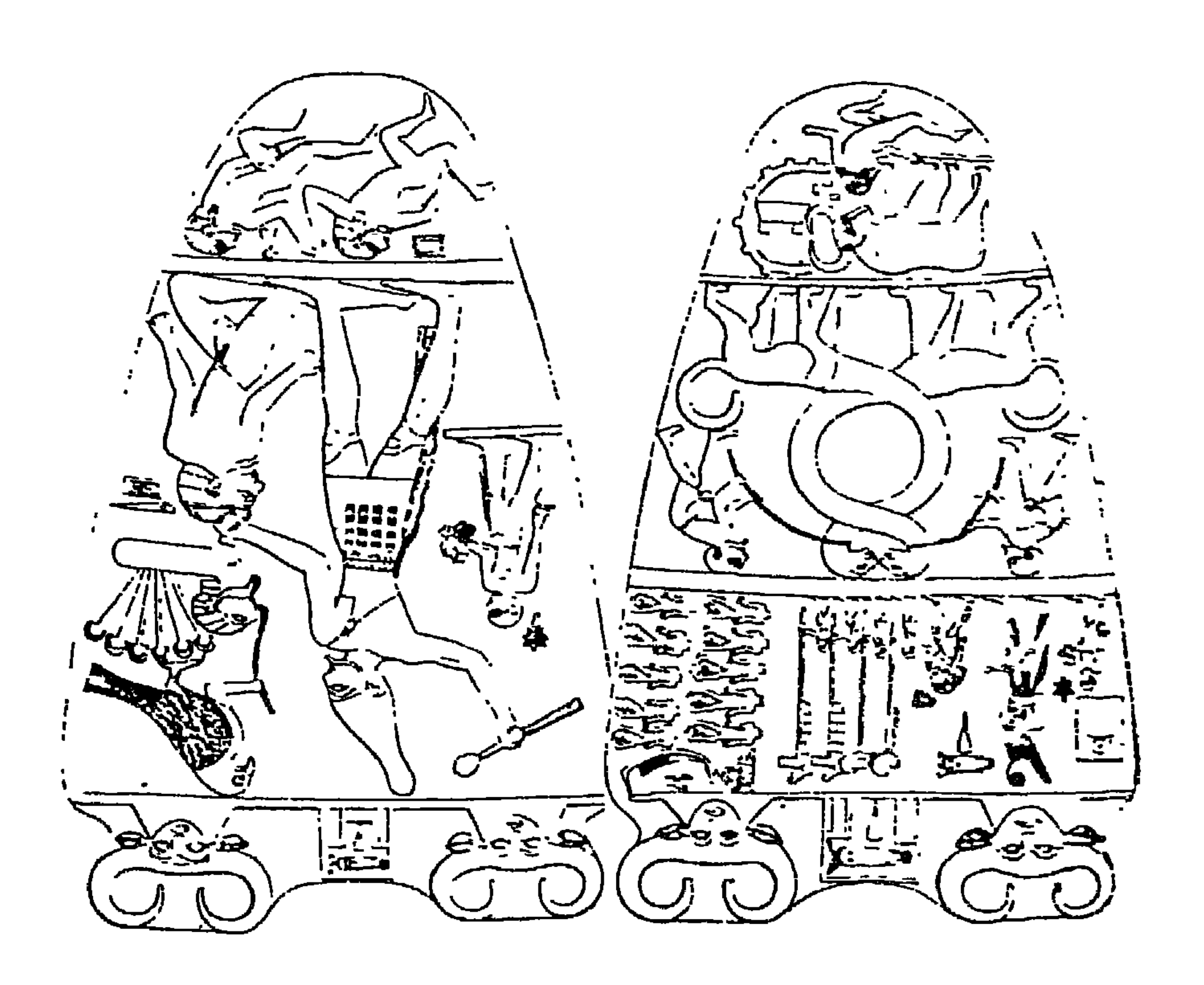
وهي المغنونة التي ترجع في مخرجها إلى الخياشيم، وملحوظة في صورة المص والامتصـاص، ومسموعة في الململة والمزمزة والمضمضة، وفي زمازم النـار أي أصـوات لهبهـا، وفي زمـزمـة الجماعة من الناس، والمزمزة هي

التحريك الشديد، ومزمزوه أي حركوه تحريكاً عنيفاً كي يصحو، وكل فتح خيشومي مع الباء يمومها، وكل اقفال خيشومي مع الميم يشمها بالباء.

والواو الهوائية:

هي المسموعة في وأوأة الكلاب أي عوائها، وهي تهوي في مخرجها في الفم، لما فيهـا من اللين حتى تتصل بمخرج الألف والوحوحة النفخ في اليدين من شدة البرد، والوسوسة التكلم بكلام خفي[٤٤].

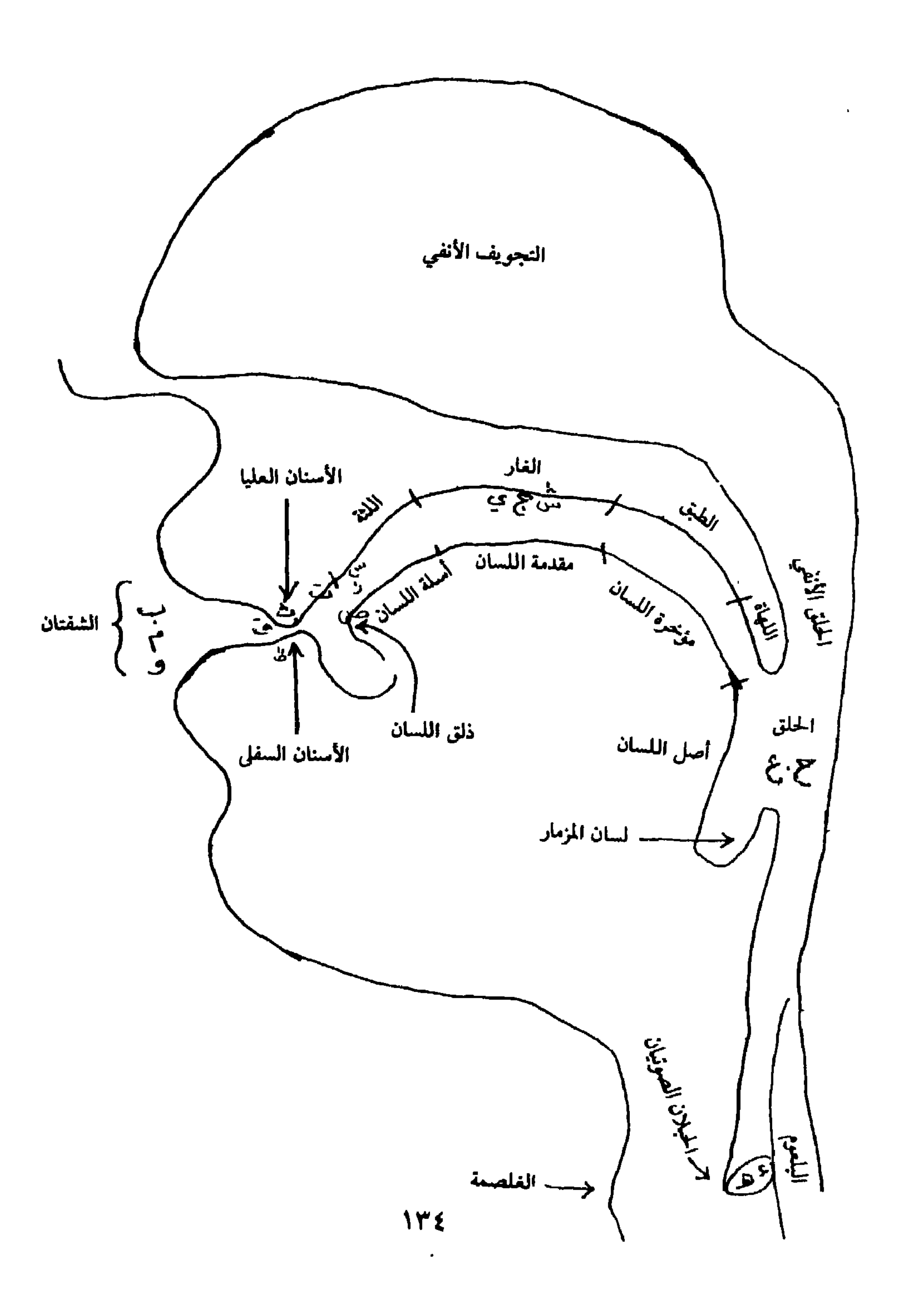
وولولت القوس صوتت، وهي من شكل هيئة الفم الذي ينطق بالواو واللســان في وسطه أي من هيئة ضم الشفتين عند نطقها، ومن وظائفها الإبدال والزيادة وأن تكون علامة للرفع والجمع.



لوح نارمير



سنونو
قرن
زرافة
عين
جندي
خبز
محراث
قوس
حذاء
مزمار
زاوية
جبل
شمس
زهرة
صرصور


التجويف الأنفي
الأسنان العليا
الغار
ش ج ي
اللثة
الطبق
الحلق الأنفي
مقدمة اللسان
أسلة اللسان
مؤخرة اللسان
اللهاة
الشفتان
و م ب
ذلق اللسان
الأسنان السفلى
أصل اللسان
الحلق
ح ع
لسان المزمار
الحبلان الصوتيان
البلعوم
الغلصمة

هوامش الكتاب :

(١) أبو هلال العسكري /الحسن بن عبد الله/ الفروق في اللغة، بيروت ١٩٨٣.

(٢) أصول اللغة العربية، أبجدية النشأة، المؤلف، دار الحصاد، دمشق.

(٣) المؤلف، ميزان الألف العربية، مطبعة العجلوني، دمشق.

(٤) ثلاثة كتب في الحروف، تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٢

(٥) فيكتور، الكك وأسعد علي، صناعة الكتابة، بيروت، ١٩٧٧.

(٦) أحمد هبو، الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، اللاذقية، سورية، ١٩٨٤.

(٧) ابن خلدون /عبد الرحمن، ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ، المقدمة، بيروت.

(٨) الفارابي /أبو نصر محمد، ٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت.

(٩) محمد محمود رضوان، تعليم القراءة للمبتدئين، القاهرة.

(١٠) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب، دار الثقافة.

(١١) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، تونس، ١٩٨١.

(١٢) ابن جني /أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت.

(١٤) الفارابي، أبو نصر محمد /٢٦٠ ـ ٣٣٩/ كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، بيروت.

(١٦) بسام بركه، علم الأصوات العام، مركز الانماء القومي، بيروت.

(١٧) عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، بيروت، ١٩٧٩.

(١٨) نعيم علوية، بحوث لسانية، بيروت، ١٩٨٤.

(١٩) الخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٠٠ ـ ١٧٥ هـ صاحب كتاب العين الذي رتب الألفاظ حسب مخارج الحروف.

(٢٠) يوسف السيسي، دعوة إلى الموسيقى، عالم المعرفة، العدد ٤٦، الكويت.

(٢١) نوابغ العرب، الحسن بن الهيثم، دار العودة، بيروت.

(٢٢) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، ٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ، رسالة أسباب حدوث الحروف،

تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، دمشق، ١٩٨٣ .
(٢٣) كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القاهرة، ١٩٧٥ .
(٢٤) محمد عنبر، جدلية الحرف العربي، دار الفكر، دمشق
(٢٥) عبد السلام بنعبد العالي، الفلسفة السياسية عند الفارابي، بيروت، ١٩٧٩ .
(٢٦) حسن عباس، الصوت العربي في حرف النون، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ٢٣٧، ١٩٨١ .
(٢٧) بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الانماء القومي، بيروت .
(٢٨) نفس المرجع السابق .
(٢٩) محمد منصف القماطي، الأصوات ووظائفها، جامعة الفاتح، ليبيا .
(٣٠) الفارابي، أبو نصر محمد، الموسيقى الكبير، القاهرة، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة .
(٣١) عزت عبيد الدعاس، فن التجويد، حمص، سورية، ١٩٨٩ .
(٣٢) محمد علي مادون، خط الجزم /بن الخط المسند، دمشق، ١٩٨٩ .
(٣٤) محمد علي مادون، الخط الجزم /بن خط المسند، دمشق .
(٣٥) ابراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، القاهرة، ١٩٨١ .
(٣٦) عبد العزيز سعيد الصويعي، الحرف العربي، ليبيا، الدار الجماهيرية، ١٩٨٩ .
(٣٧) نفس المرجع السابق .
(٣٩) زكريا الأنصاري، شرح المقدمة الجزرية، دمشق، ١٩٩٠ .
(٤٠) سامي جانو، محاضرات في الفن الإذاعي، دمشق .
(٤١) مجموعة من علماء النفس، علم النفس الاجتماعي، ترجمة نزار عيون السود، دمشق، ١٩٧٨ .
(٤٢) عبد العزيز سعيد الصويعي، الحرف العربي، ليبيا، الدار الجماهيرية، ١٩٨٩ .
(٤٣) طه باقر، معجم الدخيل في اللغة العربية، بيروت، دار الوثبة .
(٤٤) الثعالبي /أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان سليم البواب، دمشق، ١٩٨٤ .

مراجع البحث

- ابراهيم جمعة، قصة الكتابة العربية، القاهرة، ١٩٨١.
- ابن جني /أبو الفتح عثمان/ الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت.
- ابن خلدون /عبد الرحمن/ ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ/ المقدمة، بيروت.
- ابن سينا /أبو علي الحسين بن عبد الله/ ٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ/ رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، دمشق، ١٩٨٣.
- أبو هلال العسكري /الحسن بن عبد الله/ الفروق في اللغة، بيروت، ١٩٨٣.
- أحمد هبو، الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، اللاذقية، سورية، ١٩٨٤.
- أميل يعقوب، الخط العربي، طرابلس، لبنان، ١٩٨٦.
- بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الانماء القومي، بيروت.
- تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب.
- الثعالبي /أبو منصور عبد الملك/ فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان سليم البواب، دمشق، ١٩٨٤.
- الحسن بن الهيثم، نوابغ العرب، دار العودة، بيروت.
- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١.
- عبد العزيز سعيد الصويعي، الحرف العربي، ليبيا، ١٩٨٩.
- عماد حاتم، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، طرابلس، الجماهيرية، ١٩٨٢.
- الفارابي /أبو نصر محمد/ ٢٦٠ ـ ٣٣٩ هـ/ الموسيقي الكبير، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٤.
- الفارابي، كتاب الألفاظ المتسعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٨.
- الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠.

- كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القاهرة، ١٩٧٥ .
- محمد علي مادون، خط الجزم ابن الخط المسند، دمشق، ١٩٨٩ .
- محمد عنبر، جدلية الحرف العربي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧ .
- محمد محمود رضوان، تعليم القراءة للمبتدئين، القاهرة .
- محمد منصف القماطي ، الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح الجماهيرية، ١٩٨٦ .

المحتوى

إصدارات حديثة

أسرار الحروف

الكتاب الثالث للمؤلف في سلسلة أصول اللغة العربية بعد كتابي : أبجدية النشأة ، وميزان الألف ، وهو يأتي في إطار محاولته الرامية إلى ربط اللغة بمعناها بنية ووظيفة .

ويتضمن التفريق بين حروف المعاني التي تفرق بين الجمل وبين حروف المباني التي تفرق بين الكلمات ، ليكشف بعد ذلك عن حرف المبنى في معناه المحسوس / المعقول ، وصوته المنطوق / المسموع ، ورمزه المكتوب / المقروء ، ويخلص إلى تحديد ملامح واضحة للحرف كوحدة مستقلة المعنى والمبنى ، يعيش بين ظهرانينا في بيت خاص يكتنز الماضي العريق في تعبيره عن الحاضر ، ويمتلئ بالأسرار التي تساير كل تطور حضاري لأجهزة الإتصال في عالم اليوم .



دار الحصاد للنشر والتوزيع

دمشق ص. ب : ٤٤٩٠
هاتف : ٢٤٦٣٢٦